الشمال
ACHAMAL 2000

يومية جهوية وطنية تصدر مؤقتاً كل أسبوع

البريد الإلكتروني : info@achamal.ma | الموقع الإلكتروني : www.achamal.ma

المدير المسؤول : عبد الحق بخات. الهاتف : 05.39.94.30.08. الفاكس : 05.39.94.57.09

العدد 1098 . الثمن 4 دراهم . السبت 3 شوال 1442 / 15 ماي 2021

عيد مبارك

بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد، تتقدم هيئة تحرير جريدة الشمال بأحر التهاني وأصدق المتمنيات إلى أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، وإلى أسرته الكريمة وعموم الشعب المغربي وشعوب العالم العربي والإسلامي قاطبة، مع الدعاء للجميع بمزيد من التقدم والخير والاستقرار والأمن والأمان

حاجة المغرب إلى تعزيز جبهته الداخلية..

كلمة الشمال

قدر المغرب أن يحافظ على سيادته وأمنه واستقراره.. وهذا ما لا تريده دولٌ؛ بعضها كان بالأمس القريب قوة مُحتلّة مستغلة.. ومازالت متحفزة لفرض تحكمها السياسي والاقتصادي في المنطقة المغاربية..

يسجل المواطن المهتم يقظة وحذر وحزم وزارة الخارجية المغربية إزاء كل النوازل الماسة بحقوق المغرب السيادية مما هو مؤكد في ديناميتها الشاهدة وبياناتها السياسية..

يُلاحظ المواطن المهتم في الوقت ذاته اشتداد الحاجة داخل المغرب إلى تقوية الجبهة الداخلية، ويشعر بحسرة إزاء واقع الوهن الشديد الذي مُنيت به الأحزاب العاجزة عن تدبير شأنها الداخلي احتكاما إلى شرعية الأخلاق وأخلاق الشرعية..

الأحزاب المغربية جلّها منجذب إلى أسواق مزادات التزكية؛ تزكية الكراسي.. والكراسي مآسي كما قال محمود درويش..

قضايا في الصحافة الوطنية

تواكب جريدة الشمال ما تنشره الصحافة الوطنية وتعمل على انتقاء مواضيع وأخبار أكثر إثارة وإفادة للقارئ بجهة طنجة ـ تطوان ـ الحسيمة

المغاربة يدينون الاعتداء على الفلسطينيين في القدس المحتلة..

الأحداث العنيفة المتواترة في القدس الشريف وفي المسجد الأقصى خلقت حركة احتجاجية واسعة في بلادنا وفي مجموع دول العالم لكونها عملا إجراميا.

وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي أكدت أن المغرب قد تابع بقلق بالغ مجريات الأحداث وما شهدته الباحات من اقتحام وترويع المصلين الآمنين خلال شهر رمضان المبارك.. وأضاف بيان المملكة المغربية التي يرأس عاهلها لجنة القدس أن تلك الانتهاكات عمل مرفوض من شأنه أن يزيد من حدة التوتر والاحتقان.

مازالت الحركات الاحتجاجية داخل القدس الشريف وفي مجموع دول العالم تتوسع وتندد بكل أشكال العنف الذي تمارسه قوات الاحتلال الإسرائيلي والتي تستعمل الرصاص المطاطي وقنابل الغاز وتقتحم باحات المسجد الأقصى لتلحق إصابات كبيرة في صفوف الفلسطينيين أصحاب الأرض.

إن الدول العربية مطالبة أخلاقيا بأن تكون سندا لأصحاب الحق وهم الفلسطينيون الذين يتم إخلاؤهم من منازلهم وأراضيهم..

إن الاحتجاج مطلوب لكنه غير كاف لمواجهة هذه الجرائم الصهيونية..

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

شيبة الحمد سيدي محمد الأشهب في ذمة الله

انتقل إلى عفو الله تعالى شيبة الحمد سيدي محمد الأشهب والد أخينا عبد الحفيظ الأشهب يوم يوم الأحد 28 رمضان 1442 الموافق لـ 11 ماي 2021.

وبهذه المناسبة الأليمة يتقدم فقراء الزاوية القادرية البودشيشية بجهة الشمال إلى كل أفراد أسرته الكريمة بأحر التعازي سائلين الله تعالى أن يلهمهم صبرا جميلا ويثيب المرحوم على كل ما بذله من أعمال الخير

إنا لله وإنا إليه راجعون

قطرات

• محمد إمغران

كائنات.. وتأملات في معترك الحياة

ـ ما أقسى أن تجد أشخاصا في مواقع ومراكز ومناصب لا يستحقونها. وبـبـرودة دم، يتصرفون طيشا، بل و«يرشقون» ثم يقررون في مصيرك وربما احتفلوا بهذا وعاقرواكأس نبيذ، نشوة بل وتشفيا فيك.. !

ـ ما أصعب العيش، عندما تكون محاطا بـذئـاب بـشـريـة، تشعر ب: «فقصة» معينة وتتحين الفرصة، لكي تنقض عليك في أول سقطة لك وربما عميت عن ضبط أمورها وقضاء أغراضها الخاصة من أجـل أن تتبع خطواتك وتتجسس على كل ما تفعله وتصنعه وكذا من أجل إرضاء اهتمامها «المرضي» بك وبالتالي إعداد عدتها المعينة، للنيل منك..!

ـ ما أحبط أن ترى أناسا أعزاء على قلبك، تريد أن تساعدهم وتسعدهم وتمسح دمعهم في زمن «كورونا» وأنت أصلا مهضوم الحقوق، فإذا بهم يبقون مهيضي الجناح، ينظرون ولاينظرون.. يتحركون ولايـتـحـركـون..يـدركـون ولايدركون..!

ـ ما أفظع أن تجد أناسا معذبين ومحتاجين لكل شيء في شهررمضان الكريم ، غيرأنهم منسيون ومهمشون بسبب أنهم لايظهرون أمـام الناس، بـل لأن مـاء وجههم يمنعهم من الظهور والاصطفاف من أجل طلب مد يد العون، علنا، بيد أنهم يستحقون التفاتة ما بعدها التفاتة... يستحقون دمعة وابتسامة ورحمة وسلاما في هذا الشهرالفضيل..!

ـ ما أحـزن أن تعمل أمهات في البيوت وهن يتصببن عرقا... وألما من أجل فلذات أكبادهن النجباء بالأقسام الدراسية في وطـن، مقاعد مستقبله تمنح لفئاتٍ معينة، حسب النسب والحسب والجاه..!

ـ ما أشفق على بعض الكائنات البشرية، المصابة بـداء «العظمة الجوفاء» والجهل المركب الذي يبقى أصعب جهل يصيب صاحبه، فيجعله مخدوعا يمثل أدوارا أكبرمنه بكثيرفي حياته الواقعية، دون أن يـدري أنه جاهل وتافه ووضيع وابن بيئة هامشية مهمشة، لايمكن أن تنجب إلا «مصيبة عظمى» و «طامة كبرى» أشفق عليها وحار في أمرها حتى الحمقى وبسطاء الناس..!

ـ إذا كنت تحس وتتفاعل مع ما سبق ومع ما شابهه من ظروف، فأنت إنسان ذو ضمير صاف وذو حس راق، عليك أن تحمد الله على هذه النعمة، إذ جعلك بريئا من القلوب المريضة..!

الشمال ACHAMAL 2000
يومية جهوية وطنية تصدر مؤقتا كل أسبوع
الموقع الإلكتروني :
www.achamal.com
تصدر عن مطبعة جريدة طنجة

المدير المسؤول :
عبد الحق بخات
رئيس التحرير :
عبد اللطيف شهبون
سكرتير التحرير :
محمد وطاش

هيئة التحرير :
أسامة الزكاري
زبيدة الورياغلي
محمد إمغران
رضوان احدادو
هدى المجاطي
عبد الحي مفتاح

التصفيف والإخراج :
جريدة الشمال
عنوان التحرير والمراسلات والتسويق والإشهار :
7 مكرر، زنقة عمر بن عبد العزيز
- طنجة -

الإدارة والإشهار والعلاقات العامة :
محمد طارق بخات
الهاتف :
05.39.94.30.08
06.22.45.30.67
الفاكس : 05.39.94.57.09
البريد الإلكتروني :
info@achamal.com
achamal2000@gmail.com

سحب من هذا العدد :
6 آلاف نسخة
التوزيع:
سبريس Sapress
الإيداع القانوني: 99/10
ر.د.م.ك:
I.S.S.N : 1114-1832

دردشة

«التباعُد» يُبَاعِدُ بين المواطن والإدارة

منذ شرعت مملكتنا الشريفة في تنزيل إجراءات الحجر الصحي، والمواطن البسيط، يجد نفسه المستهدف الأول من هذه التعليمات المشددة.

لن أفصل القول في ساعات الحظر، ولا في ساعات إقفال الأسواق، ولا عن الطوق المضروب على المدن، قاصيها ودانيها، ولا في الحصول على تراخيص التنقل.

ولكنني سأقف عند هذه الصفوف الطويلة، التي أراها كل صباح، أمام الإدارات، والمؤسسات المالية والبنكية.

فقد استمرأت بعض مصالحنا الإدارية – للأسف – هذه الإجراءات الوقائية، فبالغت في الاستخفاف بالمواطن، وترْكه لساعات، تحت أشعة الشمس، أو أمطار الخير، عله يكف عن التردد على الإدارات، وتأجيل مصالحه لحين انكشاف الغمة، ورحيل الجائحة.

هذا المنظر، أراه بباب الباشوية، وأراه بباب البريد المركزي بتطوان، وأراه بباب بنك إفريقيا بساحة مولاي المهدي، وأراه بباب قباضة باب الرواح بالولاية، وأراه بواجهة مكتب النقل الكائن بسانية الرمل.

جميع الصفوف، لا تخضع لنظام ولا انتظام، ولا يتوفر المصطف بها على ورقة تُشعره بأن وقوفه بهذه الباب أو تلك، مؤقت بتوقيت معين، ومحدد بساعة محددة.

يحدث هذا وإعلامنا السمعي البصري، يبشرنا بحزمة من القوانين التي شُرع في تنزيلها، قصد تبسيط المساطر الإدارية، وتقريب الإدارة من المواطن.

وتجدني أتساءل: أي تقريب هذا إذا كانت قباضاتنا الضريبية، تفرض عليك، أن تؤدي ضريبة باب العقلة في مكان معين، وضريبة المطامر في باب التوت، وضريبة الحي الفلاني بالخزينة العامة؟ وإذا أخطأتَ وأديتها في غير مكانها، فكأنك لم تسددها، وستظل متابعاً بها.

فما دور الحاسوب في هذا الباب؟

إن شركة أماندیس، استطاعت أن توظف هذا الجهاز أحسن توظيف، فجعلت جميع الوكالات في خدمتك، يمكنك أن تؤدي فاتورتك في أقرب وكالة إليك.

أمَا كان بالإمكان، وحكومتنا الموقرة، تقربنا من الإدارة، أو تقرب الإدارة منا، أن تفتح قباضاتها في وجه الجميع، وتيسر السبيل للجميع؟

مثال آخر، يمكن أن آتي به من جماعتنا الحضرية. فهذه الجماعة حين فتحت إدارتها الرئيسية بحي المطار، أصبح مفروضاً على الذي يريد أن يتواصل مع رئيس الجماعة بواسطة رسالة أو خطاب، النزول إلى هذا الحي، ليسلم ملتمسه لكتابة الضبط.

والسؤال: أما كان في الإمكان، فتح فرع لهذا المكتب بمقر بلدية تطوان؟

الأمر غاية في البساطة، فالساعي الذي يحمل وثائق من البلدية إلى مقر الجماعة بين الحين والحين، يمكنه أن يحمل معه هذه الرسائل.

وتحضرني الساعة، رسالة بعثت بها لرئيس الجماعة السيد محمد إدعمار، قصد إطلاعه على دردشة صدرت لي بأسبوعية الشمال تحت عنوان: «رحم الله والدي».

فإذا بي أفاجأ بنفس الغلاف الذي أرسلتُه عن طريق البريد، يعاد إليَّ وعليه كلمة مرفوض، وحين فحصت الطابع جيدا، وجدت علامة الرفض آتية من طرف المرسَل إليه، وأقصد به السيد الرئيس.

ثم كتب في جانب من الغلاف: المرجو الاتصال على رقم الواتساب.

وأخذت أتساءل بيني وبين نفسي: هل فُتحت الرسالة وقُرئت الدردشة أم لا؟

وسواء فُتحت الرسالة أو لم تُفتح، فإنني لم أرفقها إلا بعبارة واحدة، وهي: قَصْدَ الاطلاع.

ما أريد أن أخرج به من هذا المثال، أن التواصل بين المواطنين وبين ممثليهم في المجلس البلدي، منعدم، أو شبه منعدم.

فكيف سيكون الحال، في قادم الأيام؟

مصطفى حجاج

عيد مبارك ..

• عبد اللطيف شهبون
abdelchahboun@hotmail.com

هل تدبرنا الإشارة ؟

ها نحن خرجنا من صومنا ..

خرجنا من امتناعنا عن استعمال مقتضياتنا البشرية..

خرجنا تشوفا لظهور آثار الحق فينا..

خرجنا من صوم شهر كامل (في إشارة من رب العالمين لاحتياجنا إلى صوم دائم..)..

تركنا في شهر رمضان الأبرك مقتضياتنا البشرية..

فهل منعنا أسماعنا وأبصارنا وبصائرنا ومجموع حواسنا من ارتكاب آثام ..؟

إذا كان الصوم توجيها ربانيا كي نمنع قلوبنا من الانجذاب ثم الانشداد إلى أمور دنيانا وجميع ما سوى الله، فما درجة تمثلنا لهذا التوجيه ؟

الصوم أفق تخليقي مفتوح لما بعد الزمن الرمضاني..

فهل تدبرنا هذا الأمر العظيم ؟

هنيئا لنا بالعيد..

والعيد تنبيه للغافلين نحو فضائل السعادة الأبدية الكامنة في جوهر التوجه المجرد عن الحظوظ..

هنيئا لنا بهذا العيد والحمد لله على ذلك.

في التفاصيل تكمن الحياة..

عبد الحي مفتاح

سنتان ليستا كباقي السنوات، رمضان ليس كسابقي سابقه؛ رمضان بدون ليله المفتوح على المحيط العائلي والاجتماعي، على المساجد والـزوايـا، على مجامع الذكر والمذاكرات. ليلة القدر دون نسائم المسك في الأزقة والأحياء، دون طيب البياض، دون بهجة أعراس الصيام، تفاصيل كثيرة افتقدناها ولم يكن ذلك في الحسبان.

من ذا الذي يصدق القائل إن التفاصيل ليست ذات قيمة، غير مهمة، لنمر إلى الأشياء الكبرى؟. بلى؛ في التفاصيل تكمن الحياة؛ حينما غابت التفاصيل أدركنا أن الأشياء الكبرى تبدو بعيدة وأن الأشياء الصغيرة التي تهرب من بين أيدينا، وتصنع يومياتنا وأيامنا المختلفة أوالمتشابهة، هي ملح الحياة.

إذن الحرية هي الأصل، وعلى وعينا المستلب أن يعيد قراءة الأشياء والأحداث، أن يستوعب ماهية المقاومة سواء أكانت من فرد أم جماعة أم شعب أم أمة بحثا عن الحرية المفقودة التي تمت مصادرتها جزئيا أوكليا، ظرفيا أو باستمرار، بالقوة أواللين، بالقهر أوالقانون..

في الظرف الحالي الذي يشكل استثناء في العالم كله، حتى في البلدان التي تحرص على رفع راية الحرية، وجعلت منها النسغ الذي تقوم عليه أنظمتها، توقفت الكثير من الحريات أوتقيدت وتقلص منسوبها : حرية التنقل، حرية التجول، حرية التجمع، حرية التجارة والخدمات، حرية العمل، حرية ممارسة الشعائر الدينية الجماعية إلخ، ومع أن تقييد الحريات يصاغ في قوالب قانونية معقولة يجمعها مفهوم حالة الطوارئ الصحية الذي له مسوغاته المنطقية ومبرراته الواقعية، فإن الكثير من الناس يسائلون الدولة وينتقدون بعض قراراتها أوكلها من حيث التوقيت أوالجدوى، والدولة تعتذر وتوضح وتعلل وتعوض، ولوأنها مؤتمنة على الصالح العام بتفويض من الشعب.

الخروج إلى المقهى أوالمطعم أوالسينما أوالمسرح أومن أجل التبضع، السفر أوالعمل، البيع والشراء، تقديم الخدمات، تنظيم الأفراح وإقامة المآتم، التلاقي والزيارات، المصافحة والعناق، والعيش بوجه مكشوف إلخ، عادات يمارسها الإنسان في أيامه العادية كجريان الماء دونما انتباه زائد، وحينما حرم منها لمدد زمنية متقطعة، طويلة أوقصيرة، صاحت الأفهام:

فلماذا يستكثرون على الشعب الفلسطيني، مقاومته من أجل الحرية؟، فبعد أن تآمروا واحتلوا وطنه، يمعنون، دون طوارئ صحية أوظروف استثنائية، في مصادرة أبسط حقوقه «الصغيرة» وحرياته التي تشبه الهواء على مرأى ومسمع العالم المتحضر الذي يصدر مفاهيم وقيم الحرية، والذي يتسابق ليل نهار لكي لا تغضب شعوبه لاستمرار التقييد الجزئي والظرفي لحرياته.

إن الإنسان كائن اجتماعي، كما تعالت الأصوات : إنه كذلك كائن اقتصادي، فأصبحت حماية الحق في الحياة لا تكتسي معنى فيزيقيا فقط بل كذلك نفسيا واجتماعيا واقتصاديا..

فلماذا يستكثرون على الشعب الفلسطيني، مقاومته من أجل الحرية؟، فبعد أن تآمروا واحتلوا وطنه، يمعنون، دون طوارئ صحية أوظروف استثنائية، في مصادرة أبسط حقوقه «الصغيرة» وحرياته التي تشبه الهواء على مرأى ومسمع العالم المتحضر الذي يصدر مفاهيم وقيم الحرية، والذي يتسابق ليل نهار لكي لا تغضب شعوبه لاستمرار التقييد الجزئي والظرفي لحريآته.

حكومات سقطت وأخرى ستسقط... بسبب النجاح أوالفشل في سياسة تدبير شؤون البلدان في ظرف الجائحة غير المسبوقة في زمن العولمة، ومقياس النجاح والفشل هوالتمكن أوعدم التمكن من تحقيق التوازن بين حماية الحق الأساسي في الحياة وحماية باقي الحريات الفرعية.

ما يحير هو كيف لم يهتد الإنسان بعد، بعد قرون من التجارب المريرة والدروس التاريخية المستخلصة، إلى قيم عقلية إنسانية عامة تجنب التناقض والتعارض مع سلطة الدولة في ظروف الطوارئ والكوارث والأزمات الإنسانية التي تقتضي تنازل الأفراد الظرفي عن بعض الحريات «الصغيرة»...، وقيام الدولة كمؤتمنة على المصلحة العامة، ليس بتقييد هذه الحريات فقط بل كذلك، ومن باب التضامن، تقييد حرية الملكية والتصرف كأب أسرة يحمي الجميع ويرعاه.

والمناسبة شرط، فالمحير بل المؤلم كذلك هو كيف لم تهتد الإنسانية بعد، إلى تمكين الشعب الفلسطيني من حقه على أرضه ووطنه.. رغم أنه حق واضح لا غبار عليه، جارح وصادح، يؤنب كل الضمائر الحية..؟.

لقد مر رمضان دون ليله الدافئ الخاشع، وربما سيمر العيد دون بعض طقوسه الجميلة البهيجة، لكن كل شيء يهون من أجل تحقيق الانفراج الكبير، والرهان الأكبر هو هل ستتمكن حكومتنا، إذا طال أمد الوباء لا قدر الله، الاستمرار في تحقيق التوازن الضروري بين حماية الحق في الحياة وحماية الحريات وضمان سبل العيش الكريم، وبالتالي السهر على التضامن بين جميع فئات الشعب دون كلل أوملل.

حفظ الله هذا البلد الأمين متنعما بالعزة والأمن والأمان.

وعيدكم مبارك سعيد.

رحلة إلى فرنسا..

للهاشمي الناصري الهشتوكي (1871ـ1936)

د. جعفر ابنُ الحاجّ السَّلَمِيّ

تَقـــديم

في المغرب اليَومَ حَرَكَةٌ نَشيطَةٌ في الجامعَة المَغربيَّة، وَلا سيمَا في شعبَة التّاريخ وَاللُّغَة العَربيَّة منها، تَعمَل عَلى نَشر كل المَصادر التّاريخيَّة وَالوَثائق المغربيَّة وَدراستِها. وَهيَ صَدى واضحٌ لدَعوة المؤَرِّخين بلسَانَ الحَال أَو بلسانَ المقال في القَرن المَاضي، أو بهما مَعا، إلى البَحثَ عَن الوَثائق العَربيَّة لكتابَة تاريخ المغرب كتابَة علميَّة مَضبوطة، وَعَلى رَأسَهم عَبدُ الرَّحمان بنُ زَيدان، وَمُحَمَّد داوود، وَالمختارُ السّوسيّ، لكيلا يَبقى تاريخ المغرب مَبنيًّا عَلى الأساطير وَالحكايَات وَالذكريات البَعيدة وَحدَها، أَو لُعبَة في يَد المؤَرِّخ الإفرَنجيّ. وَهيَ حَرَكَةٌ مَحمودَةٌ تُنقذ تاريخ الأمَّة مِن الضَّياع، وَتُعَرِّف بِه، وَتُقَدِّمُه للأجيال اللّاحقة.

وَفي دائرَة هاذا التَّوَجُّه، فَإنَّ كُلَّ وَثيقَة مَغربيَّة هيَ شَيءٌ ثمينٌ وَغالٍ، يَحرصُ عَلى تحصيله النُّبَهاءُ مِنَ البَاحثين، مَهما كانَ شَكلُها وَطبيعَتُها. وَهيَ ثَمينَة وَغالية، بقَدر ما يَجدونَ في نُفوسهم من مَحبَّة لا حُدودَ لها لهاذا التّاريخ المَغربيّ. وَلا أَحسَبُ الأستاذَ العَميد، د. مُصطفى الغاشي الطّنجيّ، إلا من هاؤُلاء، ممَّن شَغَفَهُم تاريخ المغرب حُبّا، فَهُم حُرَصاءُ عَلى أن يَرفَعوا قَواعدَ بَيته عَلى أساس سَميك من الوَثائق، عَسى أن تَتَقَبَّل الأجيالُ المقبلةُ مِنَ المؤَرِّخين عَملَهُم.

وَهُم في هاذا لا يَعبأونَ بوَقت يُنفَقُ في هاذا السَّبيل، أَو مَجهود كبير يُبذَل فيما قَد يَحسَبُه بَعض النّاس أَمرًا هَيِّنًا وَما هُوَ بالهَيِّن، أَو مال يَصرفونه. فَقَد شَغَفَهُم هاذا التّاريخ حُبّا، فَبَذَلوا لَه وَقتَهُم، وَهُوَ أَضيَقُ من أَفحوص القَطاة، وَجهدَهُم، وَلا يَعلَمُ إلا اللهُ مقدارَه، إذ يُقَصِّرونَ فيه أيّامَهُم، وَيَسهَرونَ لياليَهُم. وَهُم بهاذا يُقدّمونَ ما يَستَطيعونَ من العلم النّافع للأمَّة.

بَينَ يَدَيَّ رحلَةُ الهَاشميِّ النّاصريِّ الهَشتوكيِّ إلى بارِيز، عامَ 1344هـ/1926م، لحضور افتتاح السُّلطان المولى يوسُف لجامعها العامر. وَهُوَ وَثيقَة نادرَة نُدرَة الوَثائق العَربيَّة بالنِّسبَة إلى الوَثائق الأجنبيَّة، كَتبَها رَجُلٌ وَسَطٌ في النّاس، ذو عبارَة عاميَّة، كما كانَ يَكونُ كُتّابُ رِجالِ المخزن في ذاكَ العَصر، وَلا سيما في البَادية؛ لَم يَزُر الغَربَ وَلَم يَتَعَلَّم لُغاته، وَلا قَرَأَ في مَدارس الشّرق، وَلا اطَّلَعَ عَلى ثَمَرات مَطابعه. ثُمَّ تَكتُبُ لَهُ الأقدارُ أن يَزورَ هاذا الغربَ في زيارَة رَسميَّة، يَنتَقلُ فيها من بَلَد إلى بَلَد، وَمن عَصر إلى عَصر، وَمن حَضارَة إلى أُخرى.

اكتَشَفَ هاذه الرِّحلَةَ الزَّميلُ الفاضل، الأستاذُ مُصطفى الغاشي اكتشافا، فاهتَبَل بها اهتبالا، وَرَأى أن يَنفَعَ النّاسَ بإنقاذها من الضّياع وَتحقيقها وَنشرها. وَلا عَليه ألّا يَكونَ مِنها إلّا نُسخَة وإحدَة، تَتعبُه في القراءَة وَالضَّبط، أَو قل تَعنته، وَقَد تَضِلُّ المحقّقَ عَن سَواء السَّبيل. فَقَد احتَسَبَ عَمَلَه، فَلا يَهُمُّه أن يَتعبَ في تَحقيقه وَدراسَته، وَأن يَنصبَ فيه ما لا يَنصبُ غيرُه. لا يَرجو مِن وَراء ذاكَ إلا خدمَةَ هاذا التّاريخ المَغربيّ العَظيم خدمَةً مُباشرَةً، بما استَطاع، وَبأكثر ممّا استَطاع، فَيُضيفُ هاذه الخدمَةَ إلى ما سَبقَ لَه من دراسات تاريخيَّة وَتحقيقات عَن التّاريخ المَغربيّ العُثمانيّ المشترَك، طيِّبَةً بذاكَ نفسُه.

لَنا أن نَفهَمَ سُكوتَ الهاشميِّ النّاصريِّ الهَشتوكيِّ في هاذه الرِّحلة عَن مَساوئ فرنسَة المستَعمرَة الكافرَة في بَلَده، بأنَّه تَعاوُن وَتواطؤ وَمجاملَة، أَو حَتّى خيانَة، كما يَطيبُ للمؤَرِّخين المتشبِّعين بفكر الحركَة الوَطنيَّة المغربيَّة بَعدَ استقلال المغرب، إذ يَظلمونَ بفهمهم هاذا أمَّة من الكُتّاب وَالعُلَماء المخضرمين ممَّن كانوا بَينَ أوائل زَمَن الحمايَة وَقبلها. وَلَنا أن نَفهَمَ سُكوتَه بأنَّه عَجزٌ عَن فَهم الغَرب، وَقَد أُلقيَ في بَحره مَكتوفًا وَقيلَ لَه إيّاك أن تَبتَل بالماء.

وَلَنا أن نَفهَمَ الأمرَ كَذالكَ عَلى أنَّ هاذا الرَّجُل، عَلى مَحدوديَّة إمكانيّاته الثّقافيَّة، كانَ قد أدرَك، ككَثير من العُلَماء وَالأدباء وَالأعيان وَقتَئذ في المدُن وَفي الرّيف، أن لا سَبيلَ إلى إنقاذ المغرب من تأخُّره التّاريخيّ، وَإلى الأخذ بيَده، إلا بأن يَضعَ المَغربُ يَدَهُ في يَد الدَّولَة الحاميَة بالأصالَة، فرنسَة، وَالحاميَة بالنِّيابَة، إسبانيَة، عَسى أن تَنفعاه فَيَخرُجَ من وهدته وَوَرطته التّاريخيَّة، وَلا سيما بَعدَ انهيار الدَّولَة العُثمانيَّة، الَّتي كانَت الآمال الكَثيرَة مَعقودَةً عَليها عندَ النّاس. وَقَد عَمِلَ بمبدإ: عَليه كُفرُه،

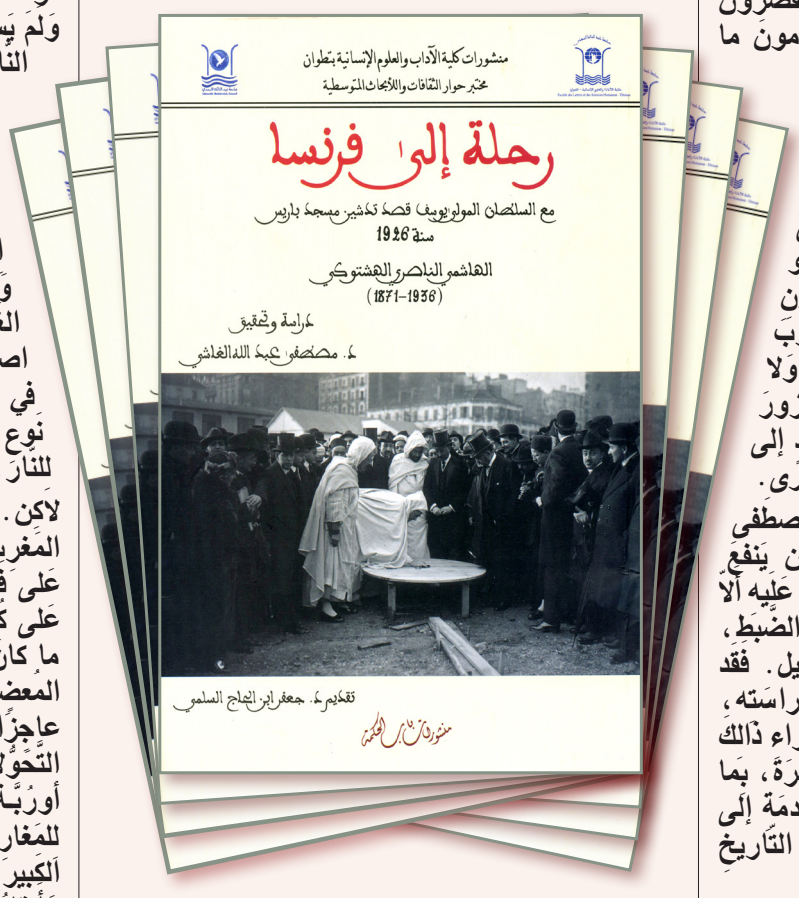

وَلَنا عَدلُه، وَلَكُم دينُكُم وَلِيَ دين. فَتَرَكَ صَبَّ اللَّعَنات عَلى أصحاب العُقول الظّلمانيَّة الّذينَ نفذوا من أقطار الأرض، كما سَمّاهُمُ الطّاهرُ الفاسيّ، وَكانَ هاذا مَبدأَ فَهمه للغرب. وَلَيسَ هاذا بقَليل في ذاكَ الزّمان.

كانَت الرِّحلاتُ العَربيَّةُ إلى الغَرب مرءاةً لإدراك المُثَقَّفين المسلمينَ لحالهم، وَمقدار تأخُّر دارهم، وَإدراك مقدار تَفوُّق الغَرب. وَقَد انقَسَمَ هاؤُلاء الرَّحّالونَ إلى ثَلاثَة أَقسام:

قسمٌ شاهَدَ وَحاوَلَ أن يَفهَم، وَعَرَضَ فَهمَهُ عَلى النّاس، وَهُمُ الرَّحّالونَ الّذينَ دَوَّنوا رحلاتهم عَن مَعرفَة باللُّغات الأوربِّيَّة، كالطهطاويِّ وَعُمومَ الرَّحّالينَ الشّاميّين.

وَقسمٌ شاهَدَ وَحاوَلَ أن يَفهَم، دونَ أن يَستَطيعَ استيطانَ الأمور، إذ عَجَزَهُ مُرورُه القصير، وَجَهلُه باللُّغات الأجنبيَّة، فاستَعانَ بكتابات الفئَة الأولى، كابن إدريسَ العَمراويّ.

وَقسمٌ شاهَدَ وَحاوَلَ أن يَفهَم، وَعَجَزَ عَن فَهم الغَرب، وَلَم يَستَعن بالكتابات المشرقيَّة. وَقَد كانَ منهُمُ الهاشميُّ النّاصريُّ الهَشتوكيّ.

لَقَد آثَرَ هاذا المُدَوِّنُ لرحلته ألّا يُعَلِّقَ عَلى مُشاهداته، فَكانَ عَدَمُ تعليقه عَينَ التّعليق. وَالعَجز عَن الإدراك إدراك، كما يَقولُ الصّوفيَّة. حَتّى إذا خَرَجَ أحيانًا عَن صَمته، فَعَلَّقَ عَلى مُشاهداته، استبانَ عَجزُهُ الفادحُ وَعَجزُ أهل زَمانه وَباديَته، وَعَجزُ ما مَعَه من المَوروث الثّقافيّ، عَن فَهم الغَرب، إلّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ منهُم. فانظر إليه وَهُوَ يُشبِّهُ اصطفافَ السَّيّاراتِ في باريسَ باصطفاف البَقر، وَيَرى في زيارَة قبر الجُندِيِّ المجهول عبادَةً وَثَنيَّةً للنار، من نَوع ما قَرَأَه في الكُتُب القَديمَة عَن المجوس وَعبادَتهم للنّار، يَتَبَيَّن لَك هاذا العَجزُ الفادح.

لاكن. هَل كانَ عُمومُ المُتَعَلِّمينَ المَغاربَة، بَل عُمومُ عُلَماء المَغرب، في عَصر السُّلطان المولى يوسُف، قادرينَ عَلى فَهم هاذه الحضارَة الغازيَة التي خالطتهُم وَلابَستهُم عَلى كُرهٍ منهُم فَجَرَت منهُم مَجرى الدَّم من العُروق؟ إنَّ ما كانَ مَعَهُم من بضاعَة مَوروثَة لَم يَكُن ليُؤهلهُم لهاذه المعضلَة النّازلَة بهم، وَلا شك. وَإذا كانَ رَحّالتنا هاذا عاجزًا عَن فَهم الغَرب، فَإنَّه لَم يَكُن ليَعجزَ عَن إدراك التَّحَوُّلات التّاريخيَّة في مَغرب زمانه، كالهجرَة إلى أوربَّة، وَالزّواج بالأوربِّيّات، وَتسجيل ظواهرَ لا قبَلَ للمَغاربَة بها، كدُخول غير المسلمين لفنَاء جامع باريز الكبير، بهَندَسته المَغربيَّة الأندلسيَّة الفَذَّة. حَيّاهُ الله، وَأبقاهُ مَنارَةً للمُسلمينَ في بلاد الغَرب.

فَلتَهنَأ المكتبَةُ المَغربيَّةُ بهاذا المَولود الجَديد الطَّريف، وَليَهنَأ به مُحَقِّقُه الأستاذُ الزَّميل د. مُصطفى الغاشي، وَليَهنَأ بهِ الباحثونَ في تلكُم العَلاقات بَينَ الغَرب وَالشّرق، الّذينَ يُحاوِلونَ الإجابَةَ عَن سُؤال: لماذا تأخَّرَ المسلمونَ وَتقدَّمَ غيرُهُم. وَالحمدُ للّه أوّلا وَأخيرا.

مَحروسَة تطوان الكُبرى يَومَ السَّبت، 19 ذي القعدَة، 1441 هـ ـ 11 يوليوز 2020م.

الرئيس الطريس وأعضاء اللجنة المركزية لحزب الإصلاح الوطني
لحظة توجههم للمثول بين يدي جلالة الملك المنعم محمد الخامس لدى زيارته لطنجة 1947

كلمة ذ. محمد بنونة في حلقة ذاكرة الرواد

مسار زعيم الوحدة الأستاذ عبد الخالق الطريس

3/2

• الأستاذ محمد بنونة

عبد الخالق الطريس مؤسس حزب الإصلاح الوطني:

كانت الحركة الوطنية بالشمال تضغط على إسبانيا لتوسيع مجال حرية التعبير والـرأي والصحافة والاجتماع وتأسيس الأحزاب وهو ما أكره فرانكو الذي كان يحارب بجانبه مجموعة من المواطنين المغاربة ضد خصومه السياسيين لمنح الإذن للأستاذ الطريس بتأسيس حزب سياسي هو حزب الإصلاح الوطني الذي رأى النور سنة 1936 م، وانطلق مساره السياسي الذي أخذ فيه الزعيم عبد الخالق الطريس الزعامة والخطابة، فذاع صيته في العالم العربي والدولي، وذلك من خلال مشاركته الفعالة في كثير من اللقاءات والمؤتمرات العربية والدولية للتعريف بالقضية المغربية والدفاع عن الوحدة المغربية، والعرش العلوي والقضية الفلسطينية منذ مشاركته سنة 1938 م في أشغال المؤتمر البرلماني العربي بالقاهرة. كما يجب أن نؤكد أنه كانت دائما اتصالات قيادة حزب الإصلاح الوطني مع المغفور له سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه كانت مستمرة من خلال بعض أعضائه وأعضاء الكتلة الوطنية بالجنوب، فكان العمل عملا سياسيا مشتركا وموحدا. وحين أرادت إسبانيا أن تضرب حزب الإصلاح الوطني الذي بدأ ينتشر في ربوع الشمال انتشارا واسعا قامت بخلق حركة الوحدة المغربية التي ترأسها الشيخ محمد المكي الناصري.

وفعلا نجحت إسبانيا بعض الشيء في التفرقة بينهما، فهذه كانت مؤامرة استعمارية، لكن الزعيم عبد الخالق الطريس بذكائه ولباقته السياسية أعاد التفاف الصف الوطني من جديد بين حزب الإصلاح الوطني بتوقيع الزعيم عبد الخالق الطريس، وحزب الوحدة المغربية بزعامة الشيخ محمد المكي الناصري في 14 فبراير 1943 م أول وثيقة للمطالبة بالاستقلال، وزعت على قناصل أوروبا وأمريكا بمدينة طنجة. فكانت صدمة قوية ضد الاستعمار الفرنسي والإسباني توجت بعد سنة في 11 يناير 1944 م بوثيقة أخرى قدمها حزب الاستقلال إلى جلالة الملك محمد الخامس للمطالبة باستقلال المغرب ووحدة ترابه، فاشتدت الأزمة بين الحركة الوطنية وبين الاستعمار الفرنسي خاصة.

كما يجب التطرق إلى قضية الدفاع عن حقوق الإنسان، فقد كان الزعيم الطريس مقتنعا بأن الكفاح التحريري جزء من الدفاع عن حقوق الإنسان، فكان من أوائل المرافقين عن حقوق الإنسان في وطننا، الشيء الذي حذا به إلى أن يسهم بفعالية في تأسيس أول عصبة للدفاع عن حقوق الإنسان في المغرب وفي العالم العربي سنة 1933 م، والتي ترأسها المجاهد الكبير والوطني الغيور المرحوم الحاج عبد السلام بنونة .

ولا يجب أن ننسى بأن الزعيم عبد الخالق الطريس كانت له صلة وثيقة برحالات الحركة الوطنية في أقاليمنا الصحراوية منذ سنة 1935 م، بما في ذلك المراسلات والاتصالات المباشرة مع المجاهد العلامة الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين بالصحراء، مؤكدا بذلك وحدة العمل الوطني بين شمال المغرب وجنوبه، والذي من خلاله يؤكد وحدة الشعب والوطن.

وهذه الوحدة التي طالما نادى بها زعيم الوحدة الأستاذ عبد الخالق الطريس وناضل من أجلها على أكثر من واجهة وسعى إلى تحقيقها على كل المستويات الشيء الذي بلوره في أروع صوره عندما قرر باسم إخوانه مناضلي حزب الإصلاح الوطني وباستشارتهم الاندماج في حزب الاستقلال معطيا بذلك أروع المثل في حب الوطن وتكران الذات والتعالي عن الحسابات الضيقة.

وإذا استعرضنا مختلف مراحل الكفاح منذ أن ثم التأسيس الأول للحركة الوطنية بالمغرب نجد أن العمل منبثقا من فكرة واحدة ويسير بطريقة مشتركة نحو الدرب الواحد والغاية الواحدة اللذين كانا يتجسمان في استقلال البلاد ووحدة ترابها. فكان طبيعيا وقد تحقق الاستقلال وأصبحت البلاد أوائل مارس من سنة 1956 في طريق الوحدة التي تعيد الوضع إلى طبيعته حيث لم يبق موجبا لاختلاف الأسماء وتعدد الهيئات.

وتلك كانت خطة الحركة الوطنية وهدفا من أهدافها وهو ألا يكون بعد الاستقلال بالنسبة للحركة الوطنية الأم غير حزب واحد وحركة واحدة، وليس مهما أن تندمج الهيئات تحت اسم الإصلاح أو الاستقلال أو تحتهما معا كما يتخيل للبعض ممن لا يقدرون الظروف.

أما اختيار الظرف الزمني لذلك وهو شهر مارس 1956 م، فهو الفترة التي كان لازما أن يتم فيها العمل، ذلك أن البلاد بعد 2 مارس أصبحت مثقلة وقد كانت تتهيأ لتحقيق الوحدة. كان أول مبعوث لحزب الاستقلال وصل إلى طنجة لذلك العمل هو الأستاذ المهدي بن بركة، وكان أول من فاتحه في موضوع الوحدة الحزبية الأستاذ الطيب بنونة والأستاذ محمد محمد الخطيب (جدي من الأم) ويقول جدي المرحوم محمد محمد الخطيب في كتابه ومذاكراته التي مازالت تحت الطبع وسوف تخرج قريبا إن شاء الله، أنه فعلا وجد الأستاذ المهدي بن بركة من «الأستاذ الطيب بنونة والأستاذ محمد محمد الخطيب» كل استعداد وترحيب بالفكرة وكان ذلك تمهيدا للعمل قبل مفاتحة الزعيم عبد الخالق الطريس في الموضوع.

ولما وصل الأستاذ الحاج أحمد بلا فريج والأستاذ محمد اليزيدي والأستاذ الحاج عمر بن عبد الجليل لطنجة بقصد مفاتحة الأستاذ الطريس وجدوه على علم بالموضوع لما قام به الأستاذ الطيب بنونة والأستاذ محمد محمد الخطيب بإبلاغه إياه ووجدوا الفكرة متبلورة في ذهنه. كما أن الفكرة كانت مسلمة عند باقي الإخوان في تطوان حيث كان الأستاذ محمد محمد الخطيب والأستاذ الطيب بنونة على اتصال بهم في الموضوع وكان القرار النهائي منوطا بهم على اعتبار أنهم يشكلون أكثرية الأعضاء « وهذا ما سمعته شخصيا من لسان جدي المرحوم محمد محمد الخطيب».

الطريس الخطيب يتكلم في مكتب المغرب العربي بالقاهرة، بمناسبة تحرير بطل الريف المرحوم محمد عبد الكريم الخطابي من الأسر عند مرور الباخرة التي كانت تقله في قناة السويس سنة 1947 ويرى خلفه زعيم تونس الشقيقة الأستاذ الحبيب بورقيبة

عودة مفقود اختفى منذ عقود :

«دليل الحج والسياحة»

لمؤلفه أحمد بن محمد الهواري (ت1953م)

• محمد وطاش

هذا الكتاب النادرالذي طبعت منه ثلاثمائة نسخة في حلة ورقية راقية بالمطبعة الرسمية بالرباط سنة1935.. كان والدي - رحمه الله - يحتفظ بنسخة منه في صندوق ذخيرة من مخلفات «حرب الرمال» جلبه تذكارا من «حاسي بيضا» إلى مقر سكنانا بقشلة «جانكير»بالدارالبيضاء، وكان يحيطه بعناية خاصة ويتفقده بين الفينة والأخرى.. وكنت - أنا الطفل الفضولي الصغير- أتحين الفرص للاطلاع على مكنون ذلك الكتاب الكبير، وكلما استفردت به، تصفحته وتهجيت حروفه وأمعنت النظر في مجمل صوره..

ظل هذا الكتاب بين أحضان أسرتي في الحفظ والصون، وظل رفيقا لها في حلها وترحالها بين الحواضر، ولما هجرت الأهل والأحباب لطلب العلم بمدينة فاس، حملته معي في وطابي، وزودت به خزانتي، لكن دوام الحال من المحال، فأتيسي في غربتي اختفى في غامض الظروف والأحوال. وبعد عقود جاءتني بشارة من صديقي الحميم، الأستاذ الجليل الدكتورعبد اللطيف شهبون الذي أخبرني ذات عشية من العشر الأواخر من رمضان، أنه قد عثر على هذا الكتاب المفقود باسم والدي في سوق الغرسة الكبيرة بتطوان.

واحتفاء بهذا العائد المفقود منذ عقود، يطيب لي أن أفرش له بساطا من الورود عبر سلسلة حلقات في رحاب هذا العمود.

في مرسى بور سعيد

لما رست الباخرة في المحل المعد لها بمرسى بورسعيد قرب أحد المرافئ، صعد إليها رئيس البوليس وبعض أعضاء دائرته مع نواب المجلس الصحي، وجعلوا منهم إدارة في الردهة الكبرى للدرجة الأولى، حيث كان الأمر لهم إذ ذاك لفحص جميع جوازات السفر، وكانت جوازات الحجاج بالطبع من جملتها فوجدوا المطبوعة منها بالقنصلية الإنجليزية بفاس والرباط تامة الشروط اللازمة للدخول إلى مصر، بمعنى أن فيها التصريح بالدخول إليها، والمطبوعة بالدار البيضاء غير كافية لذلك، حيث جعل عليها فقط أن أصحابها مأذون لهم بالذهاب إلى الحجاز، والحال أنهم طلبوا طبعها في مدينتهم للدخول إلى مصر وأدوا الضمانة المعهودة فوجدوها كما ذكر (حسبما سمعنا منهم ذلك)، ومن أجل ذلك اضطروا إلى أداء 200 فرنك لأجل الدخول إلى مصر مع 60 فرنكا لأجل الطابع. وبعد ذلك نزل الجميع في زورق خاص أقلهم لمحل الكرونتينة وهو محل الفحص الطبي. ورغما عن الشهادات الطبية التي صحبوها معهم من بلادهم أرغموا على الجلب ضد التيفوس بدعوى أن هذا التلقيح لم يصرح به في جملة التلقيحات المشهود لهم بها، فكان الموقف عند ذلك مما يبعث على الأسف الشديد على هؤلاء الناس الذين لا ذنب لهم إلا كونهم وُسِمُوا بلفظة «حاج»، فنظمت صفوفهم بين رجال ونساء وأطفال، وأجري لهم التلقيح بإبرة غليظة تمر عليهم جميعا بدون مسحها أو تطهيرها من أثر هذا أو ذاك، مع التطاول والغلظة عليهم في القول. وحيث كان بيد كاتبه تسريح خاص بالسياحة فقد أراحه الله من هذا الصراط «البوتسعيدي» وأذن له في المرور وكذا رفقيه السيد الحاج بن جدية، ولكننا اضطررنا مع ذلك إلى انتظار بقية الرفقاء وأدينا واجب الكرنتينة وهو 15 فرنكا للنفر مع 15 فرنكا أجرة النزول من الباخرة.

ومن هنا ذهب الكل إلى الصراط الثاني وهو الديوانة المسماة عندهم بالجُمْرُك، لأجل تفتيش العفش، فقدّمت لكل واحد ورقة يُعمّر فيها ببيان مما عنده، وبعد دفعها فتحت جميع الصناديق والحقائب وفتشت تفتيش النصحاء المخلصين المجلين الحاج ووجهته في هذه الديوانة. ومن كان عنده ذهب قيّد له في ورقة خاصة يظهرها للبوليس يوم خروجه من بلاد مصر ليكون قد أخرج ذهبه الذي أتى به معه لا ذهب البلاد، ولقد فعلوا معه حَسنا بهذه الكيفية، وإلا حجزوا منه ذلك ثم أخرجوه له في حوالة علي ديوانة السويس وألزموه بذلك ضياع بعض زمانه. وكذلك فعلوا معنا حسنا وأي حسن حيث أننا لما صرحنا في ورقة البيان عن عفشنا أن ليس عندنا إلا حوائج ملبوس، فوجدوا من جملتها عند التفتيش بعض الحوائج الجلدية فعدوا ذلك جناية كبرى، فتنازلوا لنا عنها فضلا منهم وإكراما ولكنهم جعلوا علينا في واجب الديوانة عليها 23 فرنكا وهي نصف قيمتها، فلما حضرنا للأداء وجدنا أن حزامنا الذي به بعض الدراهم قد بقي في قمرة الباخرة التي من حسن الحظ أنها لازالت راسية بالمرسي فأخذنا زورقا خاصا ذهب بنا إليها بين رجاء وجود الأمانة في محلها أو اليأس منها وأدينا في أجرة الطلوع عشرة فرنكات بعد أن طلب منا 25 فرنكا ولكن حقق الله الرجاء ووجدنا ذلك كما هو فكانت هذه المشقة حظنا فيما ناب الرفقاء مما بيّناه، ولكن بفضل الله مر بسلام مع وجود نشاط تام في تحمله، والقصد من بيان هذه النقط كلها تذكير الحجاج المغاربة إلى مثلها في أسفارهم القابلة بحول الله.

وبعد مضي نحو الساعتين على هذه الأعمال في الديوانة توجه الجميع لمحل النزول بنَزَل «أوتيل موديرن» فكانت تلك أول خطوة نطأ بها بلاد مصر العزيزة مقدمين لها من صميم الفواد أزكى تحية وسلام ومودعين تلك الباخرة العظيمة التي بقي لها نحو الثلاثة أسابيع ونصف للوصول إلى قارة أوستراليا حيث ينتهي بها خط الذهاب من لندرة (لندن).

بور سعيد في 7 فبراير 1934

(يتبع)

أطروحات جامعية

«أسرار العربية على شرح الدرة النحوية» لقاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي (ت1022هـ/ 1613م) تحقيق وتقديم

نوقشت بآداب تطوان أطروحة الطالب الباحث محمد ضميري في موضوع : ««أسرار العربية على شرح الدرة النحوية» لقاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي (ت1022هـ/ 1613م) تحقيق وتقديم. وكانت اللجنة العلمية مكونة من الدكاترة : عبد الرحمان بودرع رئيسا، ومحمد الحافظ الروسي مشرفا، وعزالدين الشتوف عضوا، وبدر العمراني عضوا. وبعد المناقشة العلمية مُنحت للطالب الباحث درجة الدكتوراه بدرجة مشرف جدا.

باسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

إنه لمن أسباب سعادتي الغامرة أن أمثل اليوم بين يديْ لجنتكم الموقرة المكونة من هذه الثلةٍ من العلماء الأساتذة الأفاضل في هذا المحفل الأكاديمي، لأحظى بشرف مناقشتكم للأطروحة التي حضّرتها بعنوان: «أسرار العربية على شرح الدرة النحوية» لقاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي (ت1022هـ/ 1613م) تحقيق وتقديم.

اسمحوا لي،السيد الرئيس، السادة أساتذتي أعضاء اللجنة العلمية أن أستهل هذا التقرير بكلمة أوجهها لأستاذي الجليل الدكتور محمد الحافظ الروسي الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث ورعايته طوال هذه السنوات.

أستاذي الفاضل قد لا تسعفني الكلمات والعبارات كي أرتبها شكراً وعرفاناً لكم، فأنتم الشجرة الوارفة الظلال التي حملت أشهى الثمار.. لقد كان لصائب توجيهاتكم وثاقب تصويباتكم ما شد من أزري وجعلني أتجاوز كل الصعاب وأتحدى كل العقبات.، راجيا أن تجدوا في نتائج البحث بعضا من غرسكم الطيب. فجزاكم الله عني خير الجزاء...

والشكر كذلك موصول إلى أعضاء اللجنة العلمية الموقرة : . أساتذتي الأفاضل الدكتور عبد الرحمان بودرع، والدكتور عز الدين الشتوف والدكتور بدر العمراني..

واغتنم الفرصة وأنا في مقام الشكر أن أعبر عن خالص ثنائي وشكري لأستاذي الفاضل الدكتور عبد اللطيف شهبون على ما قدمه لي فهو بحق نعم الموجه المعين، فله مني التقدير والاحترام والعِرفان.. والشكر موصول لكافة الأساتذة الذين تتلمذت على أيديهم في سلك الماستر، وجميع الأطر التربوية والتقنية العاملة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان وعلى رأسهم السيد العميد الدكتور مصطفى الغاشي،وأخص بالشكر أيضا قيِّم مكتبة الجامعة السيد رشيد السملالي على حسن تعاونه وكريم فضله. وأشكر كل من حضر الى جانبي وكل من لم يستطع الحضور.. كما أتوجه بخالص الشكر والامتنانٍ إلى جميع من مدَّ لي يد العون من أجل إنجاز هذا البحث وفي مقدمتهم رفيقة دربي، شكراً لكِ زوجتي على صبرك ومتابعتك وتشجيعاتك.

وكما جرت العادة في مناقشة أطاريح الدكتوراه أن يتقدم الطالب الباحث بتقرير موجز عن بحثه، وعليه أستأذنكم جميعا في أن أعرض أمامكم تقريرا موجزا عن هذه الأطروحة :

ذاع صيت كتاب مقدمة الآجرومية للشيخ الإمام النحوي أبي عبد الله محمد بن داوود الصنهاجي (ت723هـ)، ولقي اهتماما بالغا سواء من علماء المغرب أو غيرهم من أقطار العالم العربي، فهبُّوا إليه شارحين أو معلقين بحواش وتقييدات ونظم. كما انكب آخرون على هذه الشروح والتعليقات بالدراسة فأنجزوا حواشي عليها، وشرحوا الأبيات التي نظمت حولها... ومن بين هذه الشروح: «الدرة النحوية» لمحمد بن أحمد بن يعلى الشريف الحَسَنِيِّ (ت771هـ)، الذي أخذها ، كما ذكر في فاتحة شرحه ، عَنْ ابن مؤلفها أبي محمد، ويعتبر أول شرح لها، وتوجد منها نسخ عدة متفرقة في مكتبات العالم، وعلى هذا الكتاب ثلاثة شروح:

- الأول: «بداية التعريف في شرح شواهد سيدي الشريف».

لأبي العباس أحمد بن محمد بن يوسف الشهير (بالدقون) الصنهاجي المتوفى سنة 921هـ توجد منه نسخ خطية كثيرة في الخزائن العامة والخاصة.

- الثاني: « فتح المولى بشرح شواهد الشريف ابن يعلي»: لعبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الشهير (بالفكّون) المتوفى سنة 1073هـ وقد ذكره عيسى الثعالبي في «كنزة الرواة» وأبو سالم العياشي في «رحلته».

- والثالث: « الأسرار العربية في شرح الدرة النحوية»: للقاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي المتوفى سنة 1022هـ ، وهو الكتاب المخطوط الذي اخترته ليكون موضوعا لأطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه.

أسباب اختيار الموضوع:

اخترت تحقيق كتاب « الأسرار العربية في شرح الدرة النحوية» لأهميته العلمية لكونه يشرح أول شرح للآجرومية، ولكونه يعكس المستوى العلمي والمعرفي لمرحلة تاريخية من التاريخ العلمي للمغرب، وتراثا من واجبنا كمثقفين ومتخصصين من أبناء هذا الوطن الحفاظ عليه والتعريف به وتجديده، وإحياؤه، ودراسته، وفهمه، وشرحه، والزّيادةعليه بما نتوصّل إليه من معارف وعلوم وفنون؛ لأنّ العلوم حلقات متّصلة عبر مسيرة الحياة، ليتمّ التّواصل بين الأجداد والأحفاد.

هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى أذكرها متمثلة فيما يلي:

ـ قلة الدراسات المتعلقة بمؤلفات قاسم بن محمد بن القاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي، على الرغم من كونه أحد أعلام النحو بالمغرب في عهد الدولة السعدية..

ـ المساهمة في التعريف بأحد علماء النحو الكبار الذين ساهموا بقدر كبير في إغناء المكتبة العربية بمؤلفات في النحو وغيره ردًّا على مزاعم المشارقة الذين يزعمون أن لهم الريادة في هذا المجال.

ـ رغبة شخصية قديمة منذ ثمانينيات القرن الماضي حين كنت أدرس بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس بشعبة اللسانيات العربية، وهي التعرف عن قرب على مساهمة المغاربة في مجال الدرس اللغوي..

إشكالات البحث:

وبناء على ما سبق ذكره اهتديت إلى تحقيق هذا المخطوط الضخم للعالم الفقيه قاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن علي بن أبي العافية، حيث عثرت على نسخة منه بمكتبة علال الفاسي بالرباط ونسخة أخرى بالمكتبة الوطنية بتونس، اكتفيت بهما لأبدأ عملية التحقيق في انتظار الحصول على نسخ أخرى، محاولة مني إخراج كتاب في النحو يجيب على كثير من التساؤلات حول الدرس اللغوي بالمغرب، والمستوى العلمي الذي وصل إليه، والمؤلفات النحوية وغيرها التي كانت رائجة في ذلك العصر...

وصف الكتاب المخطوط (الأسرار العربية في شرح الدرة النحوية):

وهو كتاب مخطوط يشرح الدرة النحوية لابن أبي يعلى للآجرومية حصلت على نسختين له:

الأولى: حصلت عليها من مؤسسة علال الفاسي بالرباط، وهي مسجلة برقم: 669ع. وصفها كالتالي:

- تحتوي على 300 صفحة من مقاس 30 على 20.
- يوجد بالصفحة الواحدة 40 سطرا.
- نوع الخط مغربي دقيق.
- تاريخ التأليف عام:989 للهجرة بالجامع الأزهر.
- تاريخ النسخ عام: 1089 للهجرة.
- الناسخ: محمد بن علي التملي.
- النسخة كاملة.

الثانية: وحصلت عليها من دار الكتب الوطنية التونسية بتونس، وهي مسجلة برقم:4735. وصفها كالتالي:

- تحتوي على 396 صفحة من مقاس 30 على 20.
- يوجد بالصفحة الواحدة 23 سطرا.
- نوع الخط مغربي دقيق.
- تاريخ التأليف عام:989 للهجرة بالجامع الأزهر.
- تاريخ النسخ عام: أواخر شهر صفر 1066 للهجرة.
- الناسخ: محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أحمد بن حميد.
- النسخة كاملة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون على قسمين أساسيين:

القسم الأول للتقديم والدراسة، والثاني للتحقيق.

أما الدراسة فأفردت لها بابين:

الفصل الأول: فخصصته لترجمة ابن القاضي في أربعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه وحياته.

المبحث الثاني: شيوخه وتلامذته.

المبحث الثالث: ثقافته ومكانته العلمية.

المبحث الرابع: وفاته وآثاره ومصادر ترجمته.

الفصل الثاني: وتحدثت فيه عن كتاب المقدمة الآجرومية والاهتمام الذي أولاه لها المغاربة والمشارقة، ووثقت نسبة الكتاب المحقق لابن القاضي، ومنهجه في الشرح. وذلك في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقدمة الأجرومية وعناية المغاربة بها وشروحهم لها.

المبحث الثاني: توثيق نسبة الكتاب.

المبحث الثالث: منهج ابن القاضي في شرحه أسرار العربية على شرح الدرة النحوية.

القسم الثاني: تحدثت فيه عن أسرار العربية على شرح الدرة النحوية، ووصفت النسختين اللتين حصلت عليهما، مع إدراج نموذج مصور لكليهما، وأثبت عملي في التحقيق:

أولا: ا-وصف النسختين.

ب- عملي في التحقيق.

ثانيا: النص المحقق، تليه الفهارس الفنية الخاصة بالمصادر والمراجع والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأعلام والأشعار والأماكن والمذاهب...

صعوبات البحث:

وأما الصعوبات التي اعترضتني أثناء تحقيقي لهذا الشرح فهي تتجلى في:

أولا: ندرة نسخ للشرح، حيث بحث في مكتبات عديدة ولم أحصل إلا على النسختين اللتين أشرت إليهما.

ثانيا: طول الكتاب المخطوط: حيث استغرقت وقتا طويلا أثناء عملية التخريج.

ثالثا: كثرة النصوص التي استشهد بها الشارح والمأخوذة من مؤلفات كثيرة ومتنوعة، منها المأخوذة من كتب النحو والمنطق والتصوف والتفسير...

رابعا: انتقال ابن القاضي من نص ابن يعلى إلى الشرح بطريقة ذكية يصعب معها التفريق بين كلاميهما، وأحيانا يصعب التفريق بين شرح ابن يعلى ومتن ابن آجروم، الشيء الذي جعلني أتعامل أثناء التخريج بين ثلاثة متون متسلحا بالصبر والأناة والالتزام لبناء عمل يرقى للمستوى الذي أصبو إليه، مستعينا بالله تعالى وبتوجيهات أستاذي الفاضل الدكتور سيدي الحافظ الروسي.

مصادر ومراجع البحث:

أما المصادر والمراجع التي اعتمدتها في إنجاز هذا البحث فهي كثيرة وهي معظم ما أخذ منه العلامة ابن القاضي استشهاداته، بالإضافة إلى بعض المصادر والمراجع الأخرى التي أضاءت لي جوانب من شخصية ابن القاضي والحياة الفكرية والسياسية بالمغرب في العصر السعدي خاصة...

ومما أثارني أثناء التحقيق ورود اسم عالم من علماء مدينتي القصر الكبير وهو أحد أجدادي لوالدتي رحمهما الله تعالى وهو الشيخ أبو إسحق الغافقي أحد تلامذة ابن أبي الربيع السبتي وشارح جمل الزجاجي وصاحب شرح الأعشاب...

ملاحظات:

• أسلوب ابن القاضي ومنهجه في الشرح:

وهكذا فأول ملاحظة نسجلها على هذا الشرح هو الطابع التعليمي، المتميز بالسهولة والبساطة في ألفاظه وعباراته، لأن الغرض هو تبسيط ما صعب فهمه وإدراكه، والميل إلى التبسيط من سمات المعلمين الذين يكون هدفهم هو تيسير الفهم وترسيخ المعلومة في ذهن المتعلم، وهذا يتجلى مثلا بشكل واضح في شرحه للمصطلحات النحوية حيث يذكر التعريف اللغوي فالاصطلاحي ليبين العلاقة بينهما، ويبسط للمتعلم المقصود...ثم يستشهد بأقوال النحويين، ولا يفوته أن يعرف بهم ويعرف بأصل اسمه، ثم يستأنف شرحه.

بعد ذلك يتعرض للمسألة النحوية بالتحليل حيث يذكر الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والأمثلة من الجمل التي استعملها معظم النحاة. فهو يعمل على الإتيان بكلام ابن يعلى أولا، من خلال ذكر كلمة:(قوله) ثم يبدأ في عملية الشرح والتبسيط، فيأخذ في الحديث عن الظاهرة النحوية بشكل جزئي تفصيلي لفظا لفظا، يشرح أحيانا الألفاظ ويذكر اختلافات الاستعمال، ويأتي على شرح العبارة كاملة، ليذكر المعنى وقد يضع له خلاصة واضحة. وقد تتبع نص ابن يعلى كاملا، وقارنه بكلام ابن آجروم، مما يدل على إحاطته الشاملة بهما، حيث لم يكثر من الخلافات أو المسائل المشكلة إلا ما يفرضه عليه المنهج الذي اعتمده.

وبما أن الاختصار يعتبر منهجا عند المصنفين القدماء في شروحهم حتى يسهل على المتعلمين فهمها وحفظها، فيبدو أن ابن القاضي لم يحذ حذوهم في هذا الشرح، حيث نجده يتوسع كثيرا من أجل استيفاء المراد مستشهدا بالقرآن الكريم وبكلام النحويين وغيرهم مما يعكس تمكن ابن القاضي من المادة النحوية.

ويبدو ميل ابن القاضي وتعلقه بفن التدريس وحرصه على عقد مجالسه، من خلال منهجه التربوي المتسم بالملامح المعهودة في الدراسة النحوية منها ما يأتي:

أ - المحاورة: وهي طريقة تربوي تهدف إلى استحضار ذهن المتعلم ومشاركته في إقامة الدرس النحوي مرحلة مرحلة، وتعتمد على وسائل إجرائية منها:

-الخطاب المباشر، وما يحتويه من عبارات التذكير والإغراء من مثل: اعلم، واحترز، وتأمل، وتنبيه، وفائدة، وغيرها مما تتكرر في مواطن كثيرة من الشرح، بغرض شد انتباه المتعلمين وإشراكهم في العملية التعليمية وتحقيق التبليغ الفعال بين المعلم والمتعلم.

ب – التمثيل: ويهدف إلى إيضاح القاعدة النحوية وهو عنصر هام في العملية التربوية انتهجه نهجه ابن القاضي في شرحه، ومن أبرز مميزاته:

-البساطة في المعنى والمبنى.

-الأسلوب السهل الميسور الفهم لدى مختلف فئات الطلاب المتعلمين مراعاة للفوارق الفردية

- تتابع المثال مع غيره من الشواهد حول المسألة الواحدة.

- الشرح.

التعليل.

التنظيم والتبويب:

التزم ابن القاضي في شرحه ترتيب الأبواب على النحو الذي عقده ابن آجروم في مقدمته، وهو نفس الترتيب الذي التزم به ابن يعلى، وهو أربعة وعشرون بابا، وفصل واحد مخصص للمعربات وأقسامها، وغالبا ما نجده يسلك مسلك ابن يعلى في شرحه لعناوين الأبواب ووضع حدود لها، كما يعمد إلى تبرير أسباب بدئه بذلك الباب.

كما نجده يعترض على المنهج مبررا اعتراضه بطريقة يغلب عليها المنطق في ترتيب الأمور.

الخلافات بين العلماء:

أكثر ابن القاضي من ذكر الخلافات بين العلماء من أجل توضيح الظاهرة النحوية أو الصرفية، وقد أعطيت أمثلة على ذلك..

الاستشهاد والاستدلال:

• القرآن الكريم

يبدو جليا تأثر ابن القاضي بالقرآن الكريم بالنظر إلى عدد الآيات الكريمة التي أوردها في شرحه والتي تجاوزت المائتي آية، فهو لا يذكر قاعدة نحوية أو صرفية إلا أورد آية أو آيتين، مما يدل على عمق واتساع ثقافته واعتبار القرآن الكريم هو المصدر الأول المعتمد لإرساء قواعد اللغة العربية...

• القراءات.

• الحديث الشريف.

• الشعر العربي.

استشهد ابن القاضي بالشعر العربي في أماكن كثيرة، ونوّع في ذلك بين شعر جاهلي وإسلامي وأموي وعباسي... وأورد الأبيات كاملة، كما أورد أنصاف الأبيات حسب ما يقتضيه الشرح.

• الأمثلة:

أكثر ابن القاضي من الأمثلة السهلة والبسيطة التي تداولها معظم الشارحين مثل: ضرب وقام مسندة إلى زيد وعمرو.

تعريف المصطلحات النحوية:

عمل ابن القاضي على تعريف المصطلحات النحوية على طريقة المعلمين حتى تسهل عملية الفهم.

التدرج من السهل إلى الصعب:

يبدأ ابن القاضي شرحه بتعريف مسألة ما، ثم ينتقل إلى الفروع والتقسيمات التي تحتاج الشرح والتفصيل.

مزج الشرح بالمتن:

قام ابن القاضي بمزج شرحه بمتن الدرة النحوية بطريقة محكمة يصعب معها التفريق بينهما.

عملي في التحقيق:

اعتمدت في التحقيق على النسختين كما أشرت إلى ذلك، ويتلخص عملي فما يلي:

- جعلت نسخة مؤسسة علال الفاسي النسخة المعتمدة ووسمتها بالنسخة(أ) وقمت بإعادة كتابتها وفق الرسم الإملائي الحديث.

- وضعت علامات الترقيم وعلامات الوقف بين العبارات والفقرات، كما حددت بداية الفقرات والأبواب النحوية.

- ميزت كلام ابن القاضي عن كلام ابن يعلى، وكذلك متن ابن آجروم حيث كتبت هذا الأخير بخط مضغوط.

- ضبطت ما وجب ضبطه بالشكل سواء كلام ابن يعلى أو كلام ابن آجروم، والألفاظ المشكلة.

- قابلت بين النسختين وحددت مواطن الاختلاف بينهما، مع إضافة ما يقتضيه السياق وإثباته بين قوسين في الهامش، ووضع السقط من النسختين أ وب بين معقوفتين [ ].

- قمت بتخريج الآيات القرآنيّة، ذاكرا رقم السّورة، ثم اسمها، ثم رقم الآية.

- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة بالاعتماد على الكتب الصحاح ووثقتها وأشرت إلى ذلك في الهامش.

- وثقت أقوال من استشهد بهم ابن القاضي وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع التي اعتمدها ما أمكن ذلك.

- خرّجت الأبيات الشعرية ووثّقتها من المصادر وحددت مواطن الشاهد فيها.

- أكملت الأبيات الشّعريّة التي لم يثبت المؤلّف في المتن إلّا صدرها، أو عجزها، وأثبتُ ذلك بين معقوفتين وأشرت إلى ذلك في الحاشية.

- علّقت على بعض الآراء المذكورة ما دعت الحاجة إلى ذلك.

- ترجمت للأعلام الواردة في الشرح ترجمة مختصرة ما أمكن لي، وذلك بالرجوع إلى كتب التراجم والطبقات.

- وضعت فهارس فنية آخر التحقيق.

وختاما أجدد شكري العميم وتقديري الكبير لأستاذي الفاضل الدكتور سيدي محمد الحافظ الروسي، الذي أشرف على هذا البحث، والذي كان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى على إعداده بهذا المستوى،

كما أتقدم بالشكر الجزيل للسادة أعضاء لجنة المناقشة الذين سيكون لهم عظيم فضل في تقويم هذا البحث. وعلى ما ستقدمه من ملاحظات علمية حصيفة مؤكدا لهم اعتزازي المسبق بتوجيهاتهم الرشيدة وتصويباتهم السديدة التي حتما سأستفيد منها في تجاوز ما قد يكون اعترى البحث من نقص أو قصور.

وسيرا على منوال من يرغبون في تجويد أعمالهم أود أن أقول في هذا المقام أني قمت بقراءة عملي مرات ومرات بعد تسليم نُسَخ منه إلى مركز دراسات الدكتوراه بالكلية، وقد عثرت على عباراتٍ في صفحات تخدشها أخطاء ناتجة عن السهو أو الطباعة أوالتسرع في بعض الأحيان، وأحببت أن أشير إليها مع تصويبها إسهاماً مني في الرقي بهذا العمل..

ختاما لا أدعي بأني لامست الكمال في عملي هذا لكن أملي كبير أن أكون قد وفقت بعض التوفيق فيه، فما أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، وما الكمال إلا لله سبحانه. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

والله المستعان.

بين يدي معجزة الإسراء والمعراج

منتصر الخطيب

كثيرا ما يغفل المرء من كثرة سماعه أو قراءته لبعض الوقائع التاريخية أن يستجلي بعض الحكم والعظات منها، وخاصة تلك التي يتكرر الحديث عنها في بعض المناسبات.

ولعل حادثة الإسراء والمعراج أكبر برهان على ذلك، فما أن يحل شهر رجب الفرد حتى تدبج المقالات وتعقد الندوات وتلقى المحاضرات لتؤرخ لهذا الحدث مبرزة موقعها من معجزات نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم دون التعرض لاستخلاص العبر والحكم المستوحاة من هذه المعجزة الكبيرة.

ولعل من بين المؤلفين في ميدان السيرة النبوية الذين لهم فضل كبير في دراسة وقائع السيرة العطرة واستخلاص العبر والعظات من أحداثها العظام ووقائعها المطردة؛ نجد الشيخ «محمد بن سعيد رمضان البوطي» في كتابه: «فقه السيرة» الذي دأب في هذا المؤلف على تتبع وقائع السيرة النبوية مستخلصا ومستلهما عبرا وعظات كبرى من أحداثها. ذلك أنه لم يقتصر على سرد أحداث السيرة النبوية فقط، وإنما جعل هدفه الوصول إلى إبراز صورة الإسلام بإجمال؛ مجسدة في حياته عليه السلام، معتبرا أن السيرة النبوية في الأصل ليست سوى عملا تطبيقيا يراد منه: تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة في مثلها الأعلى محمد صلى الله عليه وسلم.

ولإبراز هذه الصورة المثلى من خلال قصة الإسراء والمعراج وجدناه- المؤلف- في البداية يكتفي في سرد أحداثها بالإحالة على أمهات المصادر في الهامش، ذاكرا أنه إن أردنا الوقوف على قصتها أن نقرأها في صحيح البخاري أو مسلم أو أي مصدر من مصادر السنة الصحيحة، محذرا في الآن نفسه من الاعتماد على مثل كتاب «معراج ابن عباس» لأنه مليء بالكذب والأباطيل، وأن ابن عباس بريء من هذا الكتاب. ثم ليصل بنا إلى بيان المنهج الذي اعتمده والذي لا يرتكز على السرد التاريخي فقط، وإنما على ضبط واستخراج الدلالات والعبر من هذا الحدث/ المعجزة.

وتأسيسا على هذا المنهج عرَّف الكاتب بمعجزة الإسراء بأنها: الرحلة التي أكرم الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس، وبأن المعراج: هو العروج به عليه السلام إلى طبقات السماوات العلا، ثم الوصول به إلى حدٍ انقطعت عنده علوم الخلائق من ملائكة وإنس وجن، وكل ذلك – الإسراء ثم المعراج- في ليلة واحدة، مذكرا أنها تمت بالروح والجسد معا برأي جمهور المسلمين.

ثم انتقل بعد ذلك إلى مناقشة بعض المزاعم حول الرسول والمعجزات، وبعدها بدأ في استنباط بعض الدلائل والعبر من هذه المعجزة الكبيرة:

- وأول هذه العبر هي: موقع المعجزة من الأحداث التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر بها في ذلك الحين، والتي من بينها معاناته عليه السلام من المحن التي لاقاها من قريش، وآخرها ما حدث له في الطائف، وقد ظهر تأثيرها عليه في دعائه الذي ناجى به ربه مصوِّرا ما كان عليه حاله من الشعور بالضعف والحاجة إلى النصير، وخوفه وخشيته من أن يكون الذي به إنما هو بسبب غضب من الله عليه في تقصيره بأعباء الدعوة إلى الله عز وجل، وهذا يظهر في قوله عليه السلام: (إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي..)، فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج في أثناء ذلك تكريما من الله تعالى له وتجديدا لعزيمته وثباته، وأن الذي يلاقيه من قومه ليس بسبب أن الله تعالى قد تخلى عنه أو غضب عليه، وإنما ذلك سنة الله تعالى مع أحبته في الابتلاء والاختبار، وهذه أول عبرة من هذه المعجزة، وهي التي تحثنا على الالتجاء إلى الله في الشدائد والمحن ومراجعة النفس خشية أن يكون ما يتعرض له المؤمن من ابتلاء ناتجا عن بعد عن الله أو غضب من الله لترك فرض أو إتيان معصية وهو ما يمكن أن يعرف في لغة العصر بمحاسبة النفس أو بالنقد الذاتي.

- ثم إن الاقتران الزمني بين حدث الإسراء إلى بيت المقدس والعروج إلى السماوات السبع، لدلالة باهرة على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية، وتذكير بالعلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من نبي الله عيسى ورسول الله محمد عليهما السلام من رابطة الدين الواحد، ودلالة أخرى على مدى ما ينبغي أن يوجد لدى المسلمين في كل عصر ووقت من محبة وحفظ لهذه الأرض المقدسة ووجوب حمايتها من مطامع الدخلاء وأعداء الدين، وأن يسعوا إلى استعادتها إن هي اغتصبت كما هو الحال اليوم.

- وحكمة أخرى تستنبط من معجزة الإسراء والمعراج وهي التأكيد على أن الإسلام دين الفطرة الإنسانية السليمة، وتمثل ذلك في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم اللبن على الخمر حين قدمهما له جبريل عليه السلام، وهذا تجسيد لروح الفطرة الأصيلة، ودعوة إلى الناس أنهم مهما ترقوا في مدارج الحضارة، ومهما غمرتهم السعادة المادية، فإنهم بفطرتهم لا بد وأن يستجيبوا إلى نوازع الفطرة التي يدعو إليها دين الله. وهذا ما يجعل الدعاة يركزون على الجانب الفطري للإنسان قصد استثارة نفسية الإنسان للاستجابة لدين الله.

- ثم في إمامة النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء في صلاة ركعتين ببيت المقدس لعبرة أخرى وبرهان قاطع على هيمنة الدين وشريعة الإسلام على غيره من الشرائع وتصديقه لدعوة أنبياء الله قبله.

- وعبرة أخرى تُجتبى من هذه المعجزة العظيمة وهي التأكيد على أن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح معاً، وكيف أن المشركين استقبلوه بالنفي واستعظموه. وهذا دليل على تعجبهم وقوعه، فلو كان الأمر مسألة رؤيا فقط لما استدعى منهم هذا التعجب والإنكار، وهذا ما يؤكد أن إنكارهم لهذه المعجزة هو إنكار جحود وكفر، سواء أكان من قريش أو من غيرهم ممن جاء بعدهم أو من معاصرينا أيضا، فالمعجزة أكبر من أن يصدقها كافر أو جاحد.

ولابد في الختام من التنبيه على أن الآية التي ورد فيها ذكر معجزة الإسراء والمعراج قد أتبعت بآيات تذكر فضائح اليهود وجرائمهم، وهذا الربط يدل على أن الإسراء كان إلي بيت المقدس، وأن اليهود سوف يستولون عليه ويغتصبونه ويعبثون بمقدساته، وعلى المسلمين يقع عاتق تحرير الأرض المقدسة، تنفيذا لوعد الله تعالى في هذه الآيات، وتأكيدا لهذه المعجزة العظيمة معجزة الإسراء والمعراج على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

قطب الريسوني

من سيرة الأرجوان

محجة الشاعر

• يكتب مالا تراه الأصابع في مرايا الحروف
وما لا ترشّه غيمات الدواة ببستان أفراحها
وما لا تقوله قافية دوّختها البحورُ
وأشرعة للخليل..
سكرى بأناشيد الزبّد..

• يكتب بضوء الرفيف رسائل أشواقه..
لنخْل العراق وبُستان يافا وصومعة للغرباء
فارعة في ملكوت النجاوى
باذخة في مملكة الغيم
تشكو إلى الله أحزانها

• يكتب بالكُحْل والعطْر وذوب العيون..
أسماء عشيقاته: تطوان، بغداد، صنعاء، دمشق، القاهرة، القروان..
ويرسم لمواعيدها الفاغمات وطناً من الماء إلى الماء
أكبرَ من جواز سفر
أحلى من ضفيرة شمس!

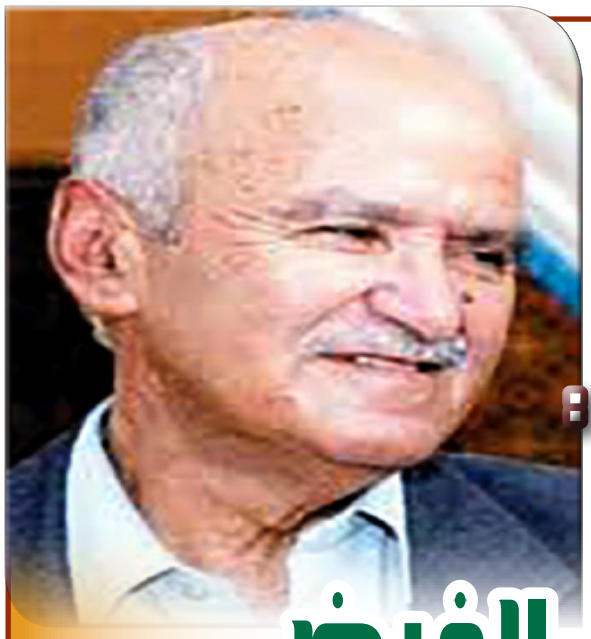

من الذاكرة : عن الفيض

الحياة الحقة؛ قلب يدِب؛وقلب يدَبْ

أحمد شاملو

كم من الفيضِ
في حبَّة ماء
إذا أحببتَ الماءْ
كم من الأنشادِ
في بحَّةِ طفلٍ
أين منها القيثارْ
كم من السُّكرِ
في خمر داليةِ
لم تنبتْ في الأرضْ
كم من الفيض
في ليلة القدرِ
شموسٌ في السماواتِ
وفي الأرضْ
ياربْ
أشهِدْنا
الفيضَ
موِّجْنـــــا فيهْ

هذا الكتاب

التفسير الإذاعي للقرآن الكريم

إبحار مبارك ليونس السباح في عوالم القرآن الكريم..

رصد لأهم محطات التفسير الكريم لنص كريم بلسان أعلام الدين الحنيف..

تأريخٌ قيميٌ للإذاعة الوطنية خدمة لكتاب الله..

المخدرات خطر صامت يحاصر مؤسسات تعليمية..

فدوى أحماد

المخدرات كل مادة تذهب العقل بشكل كلى أو جزئي سواء كانت طبيعية أو مصنعة وتجعل المتعاطي غير مدرك لما يفعله، ولها استخدامات في مجال الطب، ولكن باستخدامها لفترات محدودة.

وفي المجال القانوني يمنع زراعتها وصناعتها إلّا لأغراض قانونية.

أما في المجال الديني فهي من المُسكرات.

وتنقسم المخدرات إلى:

• مخدرات طبيعية ومنها الأفيون و الحشيش والبانجو والتبغ.

• مخدرات صناعية وهى التى يتم استخلاصها من النباتات مثل المورفين و الهيروين.

المخدرات خطر صامت.. والإدمـان عليها من أكبر المشاكل التى تواجه أي مجتمع حيث يزداد فى كل عام أعداد المدمنين مع زيادة أنواع المخدرات وأشكالها وتأثيرها السلبي على الشباب..

إن ظاهرة الإدمـان لم تعد مقصورة على الأغنياء فقط بل تشمل فئات من الطبقات الفقيرة وربما بشكل أكبر من عدد الأغنياء المدمنين، كما أن تناول المخدرات لم يعد يقتصر على فئة الذكور بل أصبحت الإناث تتعاطى المخدرات المختلفة.

أضحت ظاهرة تعاطي المخدرات في المؤسسات التعليمية، من أهـم مـهـددات السلامة العقلية والنفسية والجسدية لشباب أصبحوا أسرى لهذه السم القاتل، منهم من تدارك نفسه، ومنهم من لا زال غارقا في براثن الأقراص المهلوسة (القرقوبي) والمعجون والحشيش والكوكايين..

وظاهرة بهذا الحجم تفرض على جميع الأطراف والباحثين بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم دراستها من جميع جوانبها المختلفة، وتبيان أسبابها الحقيقية وطرق الوقاية منها...

ومن أهم الدواعي والأسباب لإقدام الشبان اليافعين على تعاطي المخدرات في المؤسسات التعليمة:

• عدم الاستقرار الأسري..

• القدوة السيئة في البيت..

• انشغال الوالدين عن الأبناء.

• انشغال الوالدين عن تربية أبنائهم وعدم متابعتهم أو مراقبة سلوكهم، بالأبناء نتيجة إهمال رعايتهم وتربيتهم بالشكل السليم.

• القسوة الزائدة على الأبناء.

• الضغط على الابن من أجل التفوق..

• مصاحبة رفقاء السوء..

• توفر مواد الإدمان عن طريق المهربين والمروجين..

• وجـود بعض أماكن الترويج قـرب المؤسسات التعليمية..

• التساهل في استخدام العقاقير المخدرة اللازمة للاستخدام في المستشفيات..

• غياب رسالة المدرسة في هذا الجانب..

• غياب حملات التحسيس..

يعد المدخل التعليمي من أهم المداخل تأثيرا في عملية التوعية، لكونه يهدف إلى تطوير الملكات الفكرية، سعياً لتشكيل تقدير إيجابي أخلاقي للمواقف والقيم والمعتقدات.

ويعد هذا المدخل من أكثر المداخل أهمية وأقواها تأثيرا في عملية التوعية بأخطار المخدرات ومضارها. فالمتعلمون ينظرون إلى معلمهم كقدوة، وتبقى آثار العملية التعليمية في أنفسهم وأذهانهم، لأن شخصياتهم وثقافاتهم تشكلت بناء على ما يتلقونه في مدارسهم من تعاليم وقيم وأخلاق، وما اكتسبوه من خبرات ومهارات.

كما أن ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الناشئة في المراحل الأولى من حياتهم، حيث الاهتمام بتحقيق معاني العبودية الخالصة لله تعالى والاستجابة الخالصة والمباشرة لأوامـره واجتناب نواهيه، والتي تعد في مجموعها هدفا عاما للتربية الإسلامية.

(يتبع)

طقوس قرائية

مع الأستاذة عائشة العلوي الأمراني

د.عبد الواحد العلمي

متلازمة القراءة والكتابة

ممتنة لهيئة التحرير في جريدة «الشمال» دعوتها الكريمة لاستضافة شخصي المتواضع على هذه الصفحة التي توالى على التألق عليها نخبة من المبدعين والمثقفين وأخص بالشكر الجزيل الأستاذ الصديق عبد الواحد العلمي.

أعرف أنني لا أقف في مصاف الكتاب والكاتبات الذين واللواتي نشروا ونشرن دواوين، وروايات وكتبا في الفكر والنقد. غير أنني أقف بالقرب منهم أقرأ بشغف منذ آمن والدي رحمه الله بقولة طه حسين «التعليم مثل الماء والهواء» ولعل أبي أضاف والقراءة ثالثتهما، فنقل إلي وإخوتي هذا الشغف، ولم يكن يعود من عمله كل يوم إلا ويمناه تحمل ما تيسر من فواكه الموسم، وبيسراه جرائد ذات خطوط تحريرية مختلفة بل متعارضة في بعض الأحيان، خاصة ونحن في نهاية فترة الاستعمار وتهل علينا بشائر الاستقلال، كان يدرك أننا لن نتغلب على العدو إلا إذا عرفناه، فتعلم اللغة الفرنسية إلى جانب دراسته العربية في القرويين وقد حالت ظروفه الأسرية بعد وفاة أبيه دون إكماله الدراسة. فكانت الصحف الناطقة بلغة الاستعمار والناطقة باسم الحركة الوطنية نتداولها قراءة ونقاشا، معززة بنشرات إذاعة لندن وصوت العرب من القاهرة.

سارت المدرسة الوطنية التي أسسها متطوعون على درب ترسيخ فكرة الوطن والوطنية كنوع من المقاومة فكانت الدروس ذات أبعاد سياسية، قد تفوق إدراكنا كأطفال، غير أنها كانت تهيئنا من حيث ندري ولا ندري لنكون ما نحن عليه الآن، وما كنا عليه خلال الدراسة الجامعية.

كانت القراءة طقسا يوميا لا تحتاج لطقوس خارج عوالمها، أذكر في المرحلة الابتدائية أن المدرسة خصصت حصة أسبوعية للقراءة، وبينما كنا نقرأ قصص كامل كيلاني، وضع مدرسنا « السي عباس» - السلام له والسلام عليه - بين أيدينا في القسم الرابع أو ما أصبح يسمى بالمتوسط الأول، كتاب «الأيام» لطه حسين، اختار منه نصوصا اعتقد أنها أقرب إلى مداركنا، فقرأناها بوجدان أطفال يتعاطفون مع طفل فقد البصر، واتسعت بصيرته لتستوعب العالم في شساعته، في قسم الشهادة الابتدائية هل علينا نجيب محفوظ بروايتيه التاريخيتين (رادوبيس، وأرض طيبة) ودعنا جرجي زيدان، وقرأنا سردا تاريخيا بأسلوب مختلف وخيال أرحب، وأقبلت علينا كوكبة أخرى من الكتاب، يوسف السباعي، إحسان عبد القدوس، يحيى حقي، ويوسف إدريس وغيرهم ... امتدت القراءة إلى عالم السينما فكثير من الروايات حولها مخرجون إلى أفلام ، فكان الفيلم قراءة أخرى ومتعة مختلفة.

لم يصل كل التلميذات والتلاميذ رفاق تلك المرحلة إلى نهاية المرحلة الثانوية، فقد تعددت محطات النزول، وكان الأمر أقرب إلى الانتقاء الطبيعي للمجتمع فغالبية الأسر التي لها حظ من العلم أو الانخراط سياسيا في قضايا الوطن اختارت التعليم وشجعت أبناءها على الاستمرارفيه، ولأسباب اقتصادية أو اجتماعية أو خضوعا لإغراءات الوظيفة التي لم تكن تتطلب تعليما متقدما، تقلص عددنا، وأذكر أن عدد الناجحين والناجحات في امتحانات البكالوريا لوائحهم التي تنشر في الصحافة الوطنية لم تتعد بضع مئات.

الحديث عن القراءة ذو شجون وقد اتسعت دائرتها لتتجاوز مصر إلى لبنان وسوريا وفلسطين والعراق، وأبعد من ذلك إلى الأدب الروسي، ورحلت إلى شمال المتوسط لتشمل كتاب الرواية فلوبير، بلزاك، زولا، وفيكتور هيجو وغيرهم ... بل أخذتنا الرحلة عبر المحيط فشغفنا بكتابات همنجواي، وفي سنة البكالوريا نقلنا الدرس الفلسفي ابتداء من محاورات أفلاطون مرورا بكل الفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ إلى مجالس وجودية سارتر وكامو. كما أن كتابات عبد المجيد بنجلون، وعبد الكريم غلاب وادريس الشرايبي اقتحمت دائرة القراءة ووصلتنا بسرديات أقرب إلى السيرة التاريخية عن الفرد والمجتمع والوطن. وكان الشعر واسطة عقد القراءة، واحة ظليلة تعزف فيها الكلمات موسيقى الروح فتحلق بنا لنستوطن السحاب، نزار قباني جعل الرومانسية حقا مشروعا، السياب جسد آلامنا ونكأ الجراح، مع المجاطي كنا ضمن سربة الفروسية بنادقها ترمي بدخان...، مع مجموعة مجلة شعر وطئنا أرض الحداثة، تتلى علينا صحفها فنتأمل ونمعن في التأويل.

كنت محظوظة بالإقامة في حي الأحباس الميكرو مدينة في وسط الدار البيضاء والتي خطط لها من طرف عاشق للحضارة الأندلسية، لتكون زمنا للوصل بالأندلس، فكانت وما زالت متحفا ترتفع فيه مئذنتان وتؤثثه مرافق لكل الخدمات ما عدا سوق الخضر واللحوم، الذي يقع على مقربة منها في حي البلدية، وتنتشر في جنبات الحي الحدائق والمدارس، أما المكتبات فتمتد على ضفتي المحج الملكي، أقدمها دار الكتاب وبعدها دار السلمي، دار الثقافة، ويتوسطها المركز الثقافي العربي...

أتهيب أكثر وأنا أتحدث عن الكتابة فعالمها تحيط به أسوار وتغلق دونه أبواب ولا تفتح إلا لمن يعرف كلمات السر، قد تكون القراءة هاديتنا إلى مسالكها ودروبها بل متاهاتها، غير أن كل ذلك لا يكفي أذكر هنا قول أبي تمام لمن جاء يسأله: كيف أكون شاعرا، فطلب منه أن يحفظ آلاف الأبيات، وعندما قام بحفظها قال له عليك أن تنسى ما حفظت. فهل ننسى كل ما قرأنا من نثر، وما حفظنا من قرآن وزجل وشعر، واستعارات ومجازات وتوريات، فصبح اللغة وعاميتها، عندما نراود الكتابة عن نفسها، هل نستطيع هز جذع النخلة فتساقط علينا الكلمات شهية، أم تتمنع شوارد لا يطالها القلم.

متى بدأت الكتابة؟ ممتلئة بكل ما قرأت بحكايات ألف ليلة وملحمة سيف بن ذي يزن في نسختيهما الصفراء الحائل لونها ، بحكايات جدتي القادمة من مدينة فاس تنوء بحمل تاريخ ثمانية قرون في الأندلس وما تلاها في عاصمة الأدارسة. بحكايات خالتي القادمة من مدينة الصويرة/ موكادور، مدينة ذات تاريخ مغرق في القدم موغل في حضارات حوض الأبيض المتوسط، أم بما حطه السيل من الشرق والغرب.

أذكر أن أول كتاباتي مثل كل التلاميذ والتلميذات كانت في مادة الإنشاء أو ما أصبح يعرف بالتعبير، على اختلاف في مدلولي الكلمتين، كنت أكتب الإنشاء بسلاسة فأحظى بتقييم جيد من أساتذتي في كل مراحل التعليم، في مرحلة الإعدادي ومثل الكثيرين والكثيرات من زملاء الدراسة كانت لي مذكرة أبوح لأوراقها بأحلامي وأحزاني وهواجسي، وأحاول أن أصوغ ذلك شعرا أحيانا أو في شكل قصة صغيرة، ولا أقول قصيرة لأنني أحاور فيها ذاتي التي لم تتجاوز الطفولة.

متى أصبح البوح مباحا؟ أذكر أنني كتبت نصا لم أعد أذكر موضوعه ولا في أي شكل صغته أرسلته إلى الإذاعة الوطنية، حيث كان للإعلامي الكبير إدريس العلام برنامج يستقبل إبداع الناشئة غير أن النص لم يدرج في البرنامج. فعاتبت نفسي على تسرعي وعدت إلى بوحي غير المباح وإلى مذكرتي السرية.

كان أول عهدي بالنشر عندما نشرت لي جريدة العلم على صفحة أصوات قصة قصيرة بعنوان «حافظوا على نظافة مدينتكم». وكانت مهنة التعليم في سبعينات القرن الماضي امتحانا يوميا للمدرسين والمدرسات أمام تلاميذ نما وعيهم الثقافي والسياسي وشغفهم بالقراءة، فهل نقول إنه مثل زمن لن يتكرر.

زاد شغفي بالقراءة وتعمق عندما التحقت بشعبة الأدب الحديث مسلك الدراسات المعمقة حيث كانت الرواية المحور، مع الأستاذين الجليلين أحمد اليبوري ومحمد برادة، تغيرت شروط القراءة وآليات معالجتها تنظيرا وتطبيقا، اكتشفت أبعادا أخرى للعلائق، ومستويات متعددة للخطاب والأصوات، بنية النص رؤيته للعالم، فتغيرت رؤيتي لما يحيطني، وأذكر أنني اتخذت نتيجة لهذه الدراسات قرارات حاسمة في حياتي الشخصية كنت أتردد في اتخاذها.

في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي نشرت مقالات، قصصا قصيرة، ونصوصا شعرية في جريدة الصحيفة الأسبوعية، وجريدة الأحداث المغربية.

وظلت الكتابة غواية توقعني في إغرائها، سهل علي الحاسوب رقنها والاحتفاظ بها في ذاكرته قبل أن تتيح لنا الرقمية النشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أذكر أنني كدت أنشر رواية في بداية هذا القرن وبعد إجازتها في لجنة القراءة تراجعت عن النشر فالقراءة المستمرة لإبداع الكبار مثل حنا مينه وعبد الرحمن منيف، شكري، زفزاف، بوزفور، محمد برادة .. جعلتني أتريث ولا أنوي.

تخلل هذا المسار نشاطي الجمعوي بعد انضمامي لاتحاد العمل النسائي الذي تعرفت على رائداته من خلال جريدة 8 مارس، والنضال الذي خاضته الجمعية وما زالت من أجل تحسين وضعية المرأة، والترافع من أجل سن القوانين التي تحميها، وتمنحها الحقوق الإنسانية المشروعة، وتحقق لها المساواة. كان اللقاء بالنساء ضحايا العنف والناجيات من جحيمه زاوية أخرى لقراءة المجتمع، والكشف عن المسكوت عنه في العلائق الاجتماعية، والقهر في شتى تجلياته.

المحطة الآنية والممتدة منذ بداية العقد الثاني من هذا القرن تتمثل في اللقاء بمؤسسة الربوة للثقافة والفكر، في البداية كنت مدعوة من طرف الصديقة الغالية خديجة شاكر لحضور حلقات صالونها الأدبي، وما لبثت أن وجدت في المؤسسة وصالونها مأوى الروح والفكر والجسد، فاندمجت في قراءة الروايات التي زكتها مؤسسات وطنية وعربية لنيل الجوائز، بالإضافة إلى الإبداع النسائي والدراسات الفكرية ذات الطابع السوسيوثقافي المغربية والعالمية.

الإبداعات الرواية الحديثة ترفع سقف الإبداع عاليا، وقد تكون عاملا آخر للتراجع عن النشر غير أنني قررت أن أخوض التجربة، فلي رواية قيد الطبع وأخرى قيد الكتابة، ولي مشاركة في كتاب الربوة الأول،الذي صدر قبل أربع سنوات، وقراءات أخرى أنتظر أن تصدر في سلسلة» أوراق الربوة» .

لقيت قراءاتي في صالون الربوة، وتدويناتي استحسانا لدى رابطة كاتبات المغرب فضمتني مشكورة لمجلس حكيماتها.

المرأة عموما قلما تنظم وقتا للقراءة، فاليومي يستغرق جهدها، وكلما استطعت سبيلا أقرأ، قد يكون الليل فاتحة وقت للقراءة بالنسبة لي، ويطول سهدي مرددة مع الخيام فما أطال النوم عمرا، ومع المتنبي الكتاب خير جليس وخير أنيس.

أجدد الشكر ودمتم سالمين.

التسول والتشرد بين التجريم والعقاب

ذ. محمد الخـراز
رئيس غرفة سابقا بمحكمة النقض

إن كان التسول والتشرد آفة من الآفـات الاجتماعية الخطيرة تهدد الأسر والمجتمعات، فهي تعود لأسباب كثيرة ومتعددة، من بينها المشاكل التي تتخبط فيها الأسـر، ولاسيما ما يترتب عن الطلاق من التخلي عن الأطفال وإهمالهم، أو غياب أو وفاة الوالدين، أو سوء المعاملة، أو التحرش الجنسي إلى غير ذلك من العوامل والأسباب المؤثرة على الحياة الاجتماعية، كتدني المستوى المعيشي والانكماش الاقتصادي وانخفاض القوة الشرائية للأسر، وتدهور مستويات التعليم واختفاء القيم.. ونرى في مقدمة ذلك العوامل الاقتصادية المرتبطة بانتشار مدن الصفيح التي أصبحت تفرز بالدرجة الأولى تشرد الأطفال والمتسولين، فضلا عن عوامل أخرى المتمثلة في التعود على التسول، أو الانتماء إلى الأسر المحترفة له، والتي تهمل أطفالها بسبب الهشاشة والفقر، وصعوبةالحصول على عمل، كما هو الحال بالنسبة للهجرة القروية نحو المدن، التي تساهم بنسبة أكبر في التسول والتشرد؛ فالبدوي عندما ينتقل إلى المدينة بهدف تحسين وضعه الاقتصادي يصطدم بصعوبات جمة في التكيف مع الأوضاع الجديدة وفي الحصول على عمل، وحتى وإن حصل عليه فعندما يفقده يصبح عالة على نفسه وعلى المدينة، فيأخذ القدوة السيئة في التسكع والتشرد والتسول، أو قد تقوده الظروف الصعبة إلى التسول لجني المال بدون عناء، ويصبح ملاذا له ويستمر في مشوار التسول.

ومن هنا تبدأ معاناته مع المجموعة التي أصبح ينتمي إليها مع قانون العقوبات الذي يجرم هذه الأفعال، فتقوم مصالح الشرطة القضائية والأجهزة الأمنية تحت إشراف النيابة العامة بحملات تطهيرية للأزقة والشوارع لملاحقة المتسولين، ويتابعون بتهم مرتبطة بجنح التسول، وأحيانا تكون هذه التهم مقترنة بجنح السرقة ومحاولتها والتهديد والابتزاز.

لكن حسبما يبدو أن هذه المتابعات تفتقر إلى الصرامة والضرب على الأيد نظرا لكون جل الملفات في هذا الصدد يتابع فيها المتسولون في حالة سراح، وقد تصدر تعليمات بنقلهم إلى مراكز الرعاية الاجتماعية، ولا يتم اعتقالهم إلا في حالة ما إذا كانت الجنح المنسوبة إليهم قد اقترنت بالتهديد أو السرقة أو الابتزاز أو استغلال الأطفال، وبسبب هذا الاقتران يواجهون شبح العقوبة السالبة للحرية وغرامات مالية لفائدة الدولة.

وبالرجوع إلى مجموعة القانون الجنائي، فإن هناك فصول تعاقب المتسولين بعقوبة حبسية سالبة للحرية. وحسب الفصل 326 فالعقوبة تتراوح من شهر إلى ستة أشهر حبسا، كل من كانت لديه وسائل العيش أو كان بوسعه الحصول على عمل لكنه تعود على ممارسة التسول بطريقة اعتيادية، وهناك فئة أخرى من المتسولين تواجههم عقوبة حبسية تتراوح ما بين ثلاثة أشهر حبسا إلى سنة نافذة حسب الفصل 327، في حالة ما إذا ارتبطت الأفعال بالتهديد أو التظاهر بمرض أو عاهة، وتُشدد العقوبة في الحد الأقصى إذا تعود المتسول على اصطاب طفل صغير أو أكثر من غير فروعه، أو الدخول إلى مسكن أو أحد ملحقاته دون إذن مالكه أو شاغله، كما يعاقب القانون التسول بشكل جماعي إذا كان يتكون من الزوج أو الزوجة أو الأب أو الأم وأولادهما الصغار، أو الأعمى أو العجوز أو من يقودهما.

وهناك عقوبات حبسية تضمنها الفصل 327 من القانون الجنائي وتنطلي على المتسولين الذين يستخدمون أطفالا تقل أعمارهم عن 13 سنة، غير أنه رغم هذه العقوبات الزجرية المنصوص عليها في القانون الجنائي المغربي، فهناك إكراهات تواجه المصالح الأمنية في ملاحقة المتسولين بسبب غياب الآليات والوسائل الناجعة لمحاربة الظاهرة، مما يجعل هذه المصالح وكأنها أمام لعبة القط والفأر، فسرعان ما يعود هـؤلاء المتسولون إلى زوايـا وأركـان الأزقة والشوارع بعد إطلاق سراحهم من طرف النيابة العامة أو إصدار عقوبات حبسية مخففة في حقهم، والغريب في الأمر يتبين من هذه الشريحة أنها ترفض البقاء في المؤسسات الخيرية التي يحالون عليها، ولعل ذلك يرجع إما لكون دور الرعاية الاجتماعية لا تستطيع إيواء جميع المتسولين المحالين عليها من قبل المصالح الأمنية وهيئات المحاكم وإما لضعف وافتقار إدماجهم في فضاء هذه المؤسسات بشكل يضمن لهم الاستقرار والتحسس بالكرامة والعناية، وإما لكون هذه المراكز غير مفعمة بالحياة حتى يجد المتسولون ملاذهم فيها، ولا يفكرون في العودة للأزقة والشوارع، لأنهم يكونون في حالة إدمان على التسول، وهذا يتطلب توفير شروط خاصة من شأنها أن تجعلهم في مأمن مريح يساعدهم على البقاء في مراكز الإيواء.

ومن جهة أخرى، يبدو أن الأمور تزداد صعوبة لمواجهة هذه الظاهرة رغم التدخل السريع للأجهزة الإدارية بجميع مقوماتها وتزويدها لهذه الآليات بأسطول يدخل في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية لملاحقة المتسولين والمتشردين بالشوارع العمومية قصد نقلهم إلى مراكز الإيواء، إلا أن كل الإجراءات المتخذة تبقى غير كافية بسبب التزايد المستمر للمتسولين، وكذا تزايد المهاجرين الأجانب المنحدرين من دول إفريقيا جنوب الصحراء واللاجئين السوريين.

ومـن هنا نتساءل عن الوضع الحالي للانكماش الاقتصادي، وتراجع التنمية البشرية والسياسة العمومية التي نهجتها الدولة والـذي أظهر تشريحها تزايد الهشاشة الاجتماعية وسط فئات عريضة من المجتمع المغربي، وغياب العدالة الاجتماعية الناتجة عن سوء التوزيع العادل للثروة.

ولنا عودة مع النص التشريعي فيما يخص التشرد، فقد نص عليه المشرع في الفصل 329 من القانون الجنائي، وعرفه بكون المشرد ليس له محل إقامة معروف ولا وسائل للعيش، كما أنه لا يمارس أي عمل رغم قدرته عليه.

ومن هذا الفصل تبرز العناصر المكونة للجريمة كالتالي: عدم التوفر على مسكن لإيوائه ولا على وسائل للعيش، وعدم مزاولته لأي عمل رغم قدرته عليه، وهو نفس المقتضى المتعلق بجريمة التسول.

ويلاحظ أن جريمة التشرد تتشابه إلى حد ما بجريمة التسول، إلا أنها تختلف عنها في بعض الجوانب، في كون التسول ينصب عادة على طلب الإعانة والمساعدة على التعيش رغم القدرة على العمل والتحصل على وسائل العيش بطرق مشروعة، في حين أن التشرد ينصب حول عدم توفر الشخص على مأوى ووسائل العيش، وكونه لا يزاول عادة أي عمل رغم القدرة عليه. والعقوبة المقررة لجريمة التشرد هي الحبس من شهر إلى ستة أشهر.

غير أن هناك جرائم مرتبطة بالتسول والتشرد وتتداخل فيما بينها من حيث العقوبة الزجرية، وذلك حسب مقتضيات الفصل 330 الذي يعاقب بالحبس من 6 أشهر إلى سنتين الأب أو الأم أو الوصي أو المقدم أو الكافل أو المشغل، ولكل من له سلطة على طفل، أو من كان يقوم برعايته، وقام بتسليمه لمتشرد أو متشردين أو متسول أو متسولين، وتطبق نفس العقوبة على كل من سلم الطفل أو اليتيم المكفول أو الطفل الخاضع للكفالة أو المتعلم، أو حمل غيره على تسلمه للمتسولين أو للمتشردين، أو حرضه على مغادرة مسكن أهله أو الوصي عليه أو المقدم عليه أو كافله أو مشغله أو الشخص الذي يقوم برعايته ليتبع متسولا أو متسولين أو متشردا أو متشردين.

ويعاقب الفصل 332 كل متشرد يرتكب أو يحاول ارتكاب أي فعل من أفعال العنف على الأشخاص أيا كان نوعه، إلا إذا كان يستحق عقوبة أشد بسبب طبيعة هذه الأفعال، تطبيقا لنص قانوني آخر، بعقوبة حبسية تتراوح بين سنة و5 سنوات، بالاضافة إلى إمكانية الحكم بالمنع من الإقامة مدة خمس سنوات على مرتكبي الجرائم المنصوص عليها في الفصل 331 و322 من القانون الجنائي المغربي.

"كوفيذ-19" الغازي لكوكب الأرض

Covid-19 "L'ENVAHISSEUR"

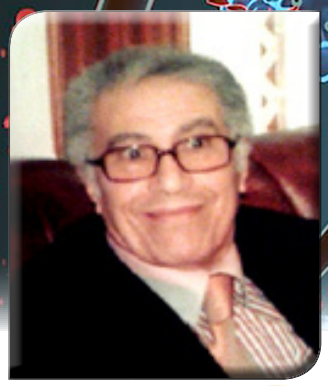

عبد المجيد الإدريسي

... أعاد العلماء المسلمون تأسيس علم الكيمياء (جابر بن حيان)، وتقدّموا به على طريق تحضير الكثير من المُركبات، ومن الأحماض. وقد ابتكروا الكثير من الأدوات والأجهزة الكيميائية. دليل ذلك اشتقاق الألفاظ العلمية أوالمصطلحات السائدة في اللغات الغربية المنقولة عن اللغة العربية، كمصطلح الكيمياء نفسه. فمثلا، يُشكل الحمضي ذلك المركب الكيميائي الطارح للبروتون (PROTON)، وهي ذوي ذرات الهيدروجين "H+" القزمية والمكونة بإدماجها مع جزْئيات الماء "H2O" الحامل ل يونات "ONI"، تعطي الهيدرونيوم..

– بروتون (نواة الهيدروجين) + (جُزَيْء مائي) = (أيون هيدرونيوم حمضي). – وبدا لي أنّ شريحة من الناس يرفضون التطعيم، وفي هذه الحالة، هل سوف يُقاومون "الغازي-الجائحة" ؟ بالطبع لا. حملة اللقاح تتقدّم من الآن فصاعدا ليتمّ حقن المواطنين بجرُعات اللقاح. لكن هل كل الأشخاص المدعوين يستجيبون للتطعيم ؟ إلا مجموعة غير قابلة، للاختزال، لخضوعها لافتراءات كاذبة. ولفهم وجهة نظرهم والتصنت لترددداتهم. فالبعض منهم يستند على كلام هُـراء. وللردّ على هذه التصريحات، فلم نجد لها مبررات. اللقاح كجميع الأدوية لم يتم الموافقة عليه إلا بعد التأكد من فعاليته وجوْدته وسلامته، ثمّ إثباته بشكل كاف. لا توجد عملية صارمة أيضا للمنتجات الأخرى التي هي جزْء من استهلاكنا المُتداول. ثمة لقاح ضدّ "كورونا-فيروس" : عدد الأشخاص الذين شاركوا في التجارب السريرية، هي الأكثر أهمية من معظم اللقاحات الأخريات، وهم ما بين 30000 و60000 شخص. بفضل الدراسات يمكننا أنْ نستطيع رؤية ما هي الآثار الجانبية التي تظهر بعد ذلك في غضون ستة أسابيع أيْ بعد التطعيم. وقد تؤخذ هذه الاعتبارات أثناء التجارب السريرية.

– الحصول على لقاح بهذه السرعة وإطلاقه شيء مُريب. وخصوصا السرعة التي تمّ بها إخراج اللقاح بمعاناة. أوْ ليسوا واثقين فيما يتعلق بوتيرة العجالة. والذي به تمّ تصميم اللقاح ونشره. عادة ما نسمع أنّ الأمر يستغرق عقودا من الزمان ليتمّ تصميم لقاح، وهذا في أقل من عام واحد حصلوا على لقاح ضد "كوفيذ- 19"، مما لا يسمح ببناء الثقة ؟ لكن بالنسبة للخبراء هي قضية ترشيد الموارد. إذا كان ممكن تطوير اللقاح بهذه السرعة، ذلك لأنّ جميع الجهات الفاعلة والمعنية في العالم (المنتجون والباحثون والحكومات) وكلهم معا، منحوه (السارس-كوف2-) أولوياتهم. فالتطوير والموافقة على اللقاح، كان له السبق والرقم الأول على جميع المستويات، بسبب حالة الطوارئ الصحية العامة. وهوما يُفسر هذه السرعة.

ممن أجل الوضوح وفهم عملية التطوير من قبل الجميع،مؤسسة-ECORF-LK AT (قوة الأداء) وهي منظمة لأداء مهمة معينة، وهي التي تسعى إلى شرح المراحل الخمسة الآتية :

1 - المرحلة الأولى، يُقدّم المطور(بكسر الواو) لقاحه باختبارات صارمة. من هنا تأتي نوعية وقيمة السيطرة على اللقاح وبأكثر دقّة ونقاوة بمُكوناته العلمية ثمّ عملية الإنتاج.

2 - تقسيم علمي، ليتمّ التنفيذ من لدُن السلطات القانونية (ترخيص التسويق)، وهذه من اختصص الوكالة الأروبية للأدوية بالنسبة لأروبا، وبالنسبة لدول أخرى هناك مؤسسات ذات الصلة في كل البلدان.

3 – فيُقْدم المطور على اختبار فعالية اللقاح بوسائل وأدوات البحث في المختبر.

4 – وإذا سارت الأمور كما هومخطط لها، إذاك يتمّ اختبار اللقاحات على أشخاص متطوعين. هذه الخطوة تكمل لتشتمل على ثلاثة مراحل من الاختبارات السريرية، بعدد من المشاركين دائما في تزايد.

5 - عند نهاية برنامج الاختبار، المطور(بكسر الواو) يُعرض النتائج على وكالة الأدوية المتخصصة. وها هي ذي في النهاية، إذ لن يتمّ منحها الترخيص إلا إذا تلقتْ الوكالة أدلة علمية قوية، أنّ فوائد اللقاحات تفوق نسبة المخاطر.

– لذا ولذلك فالأولوية لتحديد تداوُل وانتشار الفيروس.

– وقد تصبح دولة البرازيل بعدوى المُتحولات ل "سارس-كوف2-" ككارثة التسونامي (فوكوشيما)، إذ يمكنها أنْ تُعَرّضَ العالم أجمع للخطر.

– التطعيم يمنع بشكل خاص تطويرا حادّا لعدوى الجائحة، حتى وإنْ كانتْ الأغلبية الساحقة من السكان قد تمّ تلقيحهم. لا شكّ أنّ الاختبارات ب "RCP" الإيجابية لنْ تختفيَ على الفوْر كالسحر. لا يوجد لقاح فعّال مائة بالمائة، لتذكر بذلك " آن كلود كريميو" (بروفيسور في الأمراض المُعْدية). اللقاحات من أصل الحمض الريبي المرسال، وهي الأكثر فعالية اليوم، إذ بعد الجرعة الثانية تمنح الحماية بنسبة 90٪ ضدّ أشكال الأعراض، و80 ٪ ضدّ الأشكال بدون أعراض. تميّزَتْ "كورونا-فيروس"، وهي الجائحة التي سلطتْ الضوْء على فجوات الأنظمة الصحية العالمية للمعلومات الوبائية وللجائحات.

- من أجل البقاء على اليقظة في صدارة المخاطر، لتوليد بيانات أفضل وتحليلات علمية أدق، سوْف تفتح منصة جديدة في شهر شتمبر القادم في برلين. وألمانيا سوف تُموّل المشروع بمبلغ يصل إلى ثلاثين مليون يوروسنويا، إلا أنّ منظمة الصحة العالمية تُقدّرُ أن المزيد من التمويلات ضرورية ولازمة.

– من بين الأشخاص المعرضين الأكثر لمخاطر الإصابات بالمرض، بعد التلقيح، كبار السن ومرضى نقص المناعة، لأنّ الدفاعات المناعية يمكن أنْ تضعف من خلال غسيل الكلى، أوْ الذين خضعوا للتوّ لعملية زرع أحد الأعضاء، أوْ خضع لعلاج كيميائي. وبهذا المعنى فإنّ المديرية العامة للصحة توصي بحقنة جرعة ثالثة من لقاح (MNRA) الحمض الريبي المرْسال لأشخاص ضعاف المناعة. – تكمُل فائدة التطعيم على أية حال، بأنْ لا يُصاب الشخص المُلقّح بشكل شديد الخطورة ب"كوفيذ-19" – فكل ذو فكر عام يجب أنْ يستوْعب أنّ اللقاح حصانة ووقاية من الأشكال الخطيرة للجائحة، وكذا المنايا التي لها علاقة بوباء الفيروس "سار-كوف2-" و"سراس-كوف2-"..

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾

السيد المفضال عمر بنونة في ذمة الله

انتقل إلى عفو الله تعالى السيد المفضال عمر بنونة عم أخينا الأستاذ محمد بنونة بمدينة تطوان يوم الثلاثاء 28 رمضان 1442 الموافق لـ 11 ماي 2021.

وبهذه المناسبة الأليمة يتقدم فقراء الزاوية القادرية البودشيشية بجهة الشمال إلى كل أفراد أسرته الكريمة بأحر التعازي سائلين الله تعالى أن يلهمهم صبرا جميلا ويثيب المرحوم على كل ما بذله من أعمال الخير.

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وأسكنه فسيح الجنان وألهم ذويه الصبر الجميل.

إنا لله وإنا إليه راجعون

مرفأ الذاكرة

سلسلة حوارات تربوية للذكرى والاعتبار - 10 -

مع الأستاذ عمر المسعودي

د. محمد محمد المعلمي

✔ **إضاءة :**

أما قبل؛ فهذه الحوارات - عبر مرفإ الذاكرة - هي تكريم رمزي لنخبة تربوية رعت رسالتها التنويرية كما رعيتها.

وأما بعد؛ فهي ترمي إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

أولها إبقاء جذوة الذاكرة التربوية التطوانية متوهجة.

ثانيها الحفاظ على عروة التواصل بين الأجيال التربوية.

ثالثها تأكيد أهمية الفعل التربوي الصادق في بناء المجتمع وتنميته لكونه شبيها بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

بطاقة شخصية:

عمر بن عبد السلام المسعودي ولدت سنة 1940 بزاوية يوسف ـ إقليم الحسيمة. عشت طفولتي الأولى بمسقط رأسي ثم في مدينة الناظور لمدة 11 سنة، انتقلت بعدها إلى مدينة تطوان، ومنها انتقلت إلى مدينة أكادير حيث مكثت 6 سنوات، عدت بعدها إلى تطوان. وبعد 18 سنة انتقلت إلى (قرية أبا محمد) بإقليم تاونات لمدة 5 سنوات، ثم أبت إلى تطوان لأعيش بها بقية عمري إن شاء الله.

اشتغلت معلما منذ سنة 1959 ثم مديرا لمجموعة مدرسية، ثم موظفا بنيابة التعليم بتطوان، ثم مسؤولا عن الكتابة الخاصة للنائب الإقليمي بها إلى غاية 31 دجنبر 2000م.

لنبدأ بالطفولة. بم اتسمت هذه المرحلة؟

إنني كلما تذكرت طفولتي، شعرت بحنين إليها ورغبة في استعراض ذكرياتها التي ما تزال محفورة في ذاكرتي لأنها كانت طفولة بريئة وسعيدة جدا، أحداثها ناصعة تستحق التدوين.

لقد ولدت في بادية ذات طبيعة خلابة بأشجارها وروابيها وشعابها وهوائها النقي وسمائها الصافية، كما تمتاز بطيبوبة أهلها وحبهم الشديد للعمل. ما زلت أتذكر وأنا ابن ست سنوات أنني كنت أرافق والدي رحمه الله إلى وادي «غيس» الدائم الجريان، الذي يبعد بحوالي 3 كلم عن دارنا، حيث نملك بقعا من الأرض عن إحدى ضفتيه، مثل جميع سكان المداشر بجوارنا؛ فبينما يكون الكبار منهمكين في الحرث والسقي أو جني الثمار، والصبايا منشغلات بجمع الأعشاب لقطعان الغنم والبقر، نظل نحن الصغار نرتع ونلهو في جداول المياه الصافية الرقراقة، وسط ذلك الوادي الشاسع، لا نفكر في شيء، حتى إذا شعرنا بالجوع، التجأنا إلى ثمار الأشجار أو إلى تناول الخضروات التي يزخر بها المكان. وحين يأتي المساء يتهيأ الجميع للعودة إلى الديار، إذ لا أحد يقطن هناك، فيحملون على دوابهم شتى أنواع الخضر والثمار والبقول، ويملؤون جرارهم بمياه عذبة سائغة من ينابيع صافية رقراقة.

وليس هناك أروع من مشهد عـودة هـؤلاء الفلاحين وسوائمهم، والشمس على وشك الغروب، فترى تلك القافلة تتقدمها قطعان الغنم والبقر والماعز، وهي ممتلئة البطون، وخلفها يافعات منشرحات في حلل نظيفة، يرددن أهازيج وأغاني عفيفة، وخلفهن شبان وصبيان يمرحون تارة، ويصغون لحديث بعضهم تارة أخرى، ثم يليهم الرجال والشيوخ، بعضهم راكب وبعضهم خلف دوابهم المحملة بخيرات الأرض، يعلو وجوههم الرضا والوقار. إنها لوحة لو رسمت لنالت إعجاب كل الناظرين.

لقد اتسمت طفولتي بالسعادة والبراءة وحب الطبيعة وحياة البادية، رغم بساطة العيش وقلة ذات اليد عند سائر الناس، خصوصا في تلك السنوات العصيبة التي عرفها العالم كله، بسبب الحرب العالمية الثانية، وقلة الأمطار إلا ما كانت تجود به ضفاف الوادي؛ فرغم أن جل أصناف الحبوب تكاد تكون مفقودة، إلا أن السكان كانوا راضين لا يشكون الجوع والفقر، فتراهم متعاونين متآزرين متحابين يزاولون أنشطتهم بقوة وإيمان، وكانوا يقنعون بما تقدمه لهم السلطة الحاكمة من مساعدات بواسطة بطائق، وحسب أفراد الأسرة، من خبز وأرز وزيت، فيأكلون منه ويبيعون الباقي لاقتناء حاجات أخرى.

ما أبرز الذكريات عن اليوم الأول في المدرسة؟

حين بلغت من العمر سبع سنين، انتقل بنا والدي رحمه الله إلى مدينة الناظور، حيث عين مدرسا هناك، وكان وصولنا إليها ليلا، بعد عناء شديد في السفر، خصوصا وأن الحافلة كانت سرعتها آنذاك بطيئة جدا. نزلنا في ضاحية المدينة، في دار مبنية بالطين، وشعرنا وكأننا وقعنا من السماء. ورغم صغر سني كنت أشعر بغربة كبيرة، ولو أنني بين أسرتي، وكان الخوف لا يفارقني، ولم نكن نغادر البيت. وبعد أيام، أحضر والدي الألواح والصمغ وأقلام القصب، وشرع في تحفيظنا القرآن الكريم في البيت. وكنا نحن الإخوة نتسابق في استظهار ما حفظناه، ونسرع إلى محو الألواح وتعريضها للشمس لتجف بسرعة قصد كتابتها من جديد. وكانت أختي الكبيرة قد حفظت عدة أحزاب قبلنا، لذا كانت تنوب عن والدي، عند غيابه، في الاستماع إلينا وتعليمنا الكتابة.

وبعد مضي ثلاثة أشهر تقريبا، وبالضبط في يناير 1947 دخلنا كلنا إلى المدرسة. وكان في المدينة مدرستان، إحداهما للذكور والثانية للإناث. ما زلت أتذكر ذلك اليوم بقوة، حيث أمسك أبي بيدي وبيد أخي الكبير ودخل بنا إلى مكتب المدير الذي كان إسبانيا، وبعد تسجيلنا أشار على والدي أن يذهب بنا إلى قسم غير بعيد عن المكتب. وبمجرد ما وضعنا أقدامنا داخله، فوجئت بذلك العدد الهائل من الأطفال وكلهم يتفحصوننا بنظراتهم. لم يكن الفقيه حاضرا في تلك اللحظة، وأبي ما زال ينتظر في مدخل الحجرة. حينئذ وقع نظري على طفل واقف في مقدمة الصفوف والدم ينساب على وجهه وأذنيه وأحد رفاقه يجفف جراح رأسه بالطباشير. سأل والدي: من فعل به هكذا؟ فأجابه الصغار: ضربه الفقيه بالعصا على رأسه. سمعت ذلك، فارتعدت فرائصي من شدة الخوف، لكنني كتمت أنفاسي. ظهر الفقيه، وتقدمنا نحوه، وأمرنا والدي بتقبيل يده، ثم قال: ها هما الولدان، عاملهما كأولادك، ثم ودعه ودلف إلى الباب خارجا.

جلست جنب أخي، وصرت ألتفت يمينا وشمالا، أحملق في هؤلاء الأطفال الذين يملؤون الحجرة ضجيجا وهم يرددون بعض الآيات الكريمة، والألواح في أيديهم، والفقيه لا ينفك يحرك عصاه تجاههم مشيرا أو مهددا.

سمعت رنين الجرس لأول مرة، وكان عبارة عن ضربات قوية بالمطرقة على قطعة حديد سميكة معلقة بمدخل المدرسة. تململت في مكاني، لم أدر ماذا في الأمر، حتى رأيت الأطفال يضعون الألواح جانبا، ويندفعون إلى الباب خارجين فتبعناهم، ولما أصبحنا في الساحة انبهرت لكثرة التلاميذ من كل الأعمار، والتصقت بأخي قرب الباب، بينما كان الجميع يركض ويلعب. أما نحن فلم نكن نحتك بالأطفال من قبل.

بعد هنيهة دخلنا حجرة أخرى اصطفت فيها المقاعد بانتظام، وأخذنا مكاننا مع الآخرين، ثم دخل علينا مدير المدرسة، وكان صارم الملامح، كثيف شعر الحاجبين، فأخذ يعلمنا أسماء بعض

الأشياء بالإسبانية. ما زلت أتذكر حين أخذ زجاجة فارغة وهو يقول: Una botella ويرددها عدة مـرات، ثم يطلب منا ترديدها جماعة. بعدها أخذ قلم ريشة ورفعه قائلا: Una plu-ma وهكذا... لم أتذكر سوى ذلك بالنسبة لليوم الأول، وما هي إلا أيام حتى اندمجت مع التلاميذ، وأحببت المدرسة كثيرا.

بعد شهور انتقلت إلى قسم آخر، وكان هناك معلم الإسبانية، وهو من أبناء المنطقة، وكان قاسيا جدا، حيث كان بمجرد دخوله علينا، يأمر أحد التلاميذ بإحضار رزمة من قضبان الرمان ويضعها جانبا، ثم يجلس ويضع رجليه فوق مكتبه، ويشرع في تصفح كتاب أو جريدة، ونحن نحبس أنفاسنا، لأن هناك ثلاثة من التلاميذ الكبار يمرون بين الصفوف لمراقبتنا، وكل من تثاءب أو نبس ببنت شفة يأمرونه بالوقوف جنب الباب، حتى إذا بلغ عددهم خمسة أو ستة، يقوم «السي محمادي» ويأخذ القضبان ثم يأمرهم بمد أيديهم، ويشرع في ضربهم بكل قسوة، ثم بعد ذلك يقف أمام السبورة ويكتب بعض الكلمات بالإسبانية، ويعلمنا كيفية نطقها.

مرت تلك السنة بسرعة، واجتزت اختبارا أمام المدير، مكنني من الانتقال إلى القسم الأول، وهناك تنفست الصعداء حيث وجدت معلمين طيبين جاءوا من مدينة تطوان، أذكر منهم السادة استيتو والبانزي والحياني رحمهم الله جميعا، ومنهم معلمون إسبان كانوا كلهم مرحين منشرحين.

وفي السنوات الموالية جاء آخرون كالمرحوم أحمد السباعي والسيد إسماعيل والأستاذ البوعناني، إضافة إلى معلمين إسبان كانت معاملتهم إيانا طيبة جدا، جعلونا نحب الدراسة، وغرسوا فينا روح المنافسة. وكان عندنا معلم لكل مادة، كما كانت جميع الأدوات المدرسية والكتب والدفاتر توزع علينا بالمجان، وتجمع بعد كل حصة لتبقى في الخزانة ما عدا الدفاتر.

ومن أجمل ذكرياتي عن المرحلة الابتدائية، هي تلك الأنشطة الثقافية والترفيهية التي كانت تنظم بالمدرسة أيام الأعياد والمناسبات، خصوصا عيد الشجرة وعيد الكتاب، حيث كانت تخصص فيها جوائز قيمة للتلاميذ المتفوقين. وما زلت أتذكر أنني نلت جائزة عن حسن السلوك، وكانت جائزة نقدية عبارة عن (100 بسيطة) وكان مبلغا ذا بال وقتئذ؛ فقد كان أجر العامل لا يتعدى 5 بسيطات في اليوم.

ومن الذكريات التي تحضرني بقوة، تلك الأوقات التي كنا نقضيها في المخيم الذي كان يدوم أكثر من شهر على شاطئ البحر. وكان بمثابة مدرسة لتعلم الانضباط والاعتماد على النفس إضافة إلى الترفيه. فالمكان كان يشتمل على عدة هكتارات مسيجة بالأسلاك الشائكة، وعلى بعد كل مائة متر يوجد مخفر للحراسة، ويمنع الخروج إلا من الباب الرئيس وبإذن مكتوب. أما داخله فهناك عدة غرف واسعة، يوجد في كل واحدة منها ثلاثون سريرا، إضافة إلى المرافق الأخرى كالإدارة والمطبخ وغرفة العلاج والمستعجلات، ومساحات مغطاة لأنشطة الترفيه والعروض...

وكان كل تلميذ مسؤولا عن ترتيب فراشه في الصباح الباكر، وعلى نمط واحد، ومساهمة الجميع في تنظيف الغرفة وتزيين أرضها بالرسوم لأنها كانت غير مبلطة، وذلك استعدادا لزيارة لجنة المراقبة والتنقيط قبل الفطور. وفي كل صباح يعطى الأمر اليومي، فيتم توزيع التلاميذ الكبار على أماكن الحراسة بالتناوب. ومن ارتكب مخالفة أو لم ينضبط، يؤمر بتنظيف الساحة ومحيط المخيم، أو بمساعدة الطباخين في تقشير البطاطس. أما الصغار فيوجهون لسماع دروس أو قصص ومغامرات...والآخرون يوجهون لممارسة التمارين الرياضية استعدادا للاستعراض الذي كان ينظم بمناسبة انتهاء فترة المخيم. وكانت هذه الحصة هي التي يخاف منها الجميع لأن المسؤول عنها كان ضابطا عسكريا برتبة نقيب (قبطان) ويحضر بزيه العسكري، وكان صارما مع من تصدر عنه هفوة ما، لذا كنا حريصين على إتقان كل الحركات التي كنا نتعلمها بغية نيل إعجاب الحاضرين يوم الاستعراض.

متى كان الالتحاق بسلك التدريس ولماذا؟

أنهيت مرحلة التعليم الثانوي، حسب النظام القديم، في صيف 1958 واجتزت الامتحان الذي كان بمثابة امتحان البكالوريا. وكان علي أن أتابع الدراسة باللغة الإسبانية فقط، تمهيدا للتوجه إلى إسبانيا. وفعلا تابعت الدراسة باللغة الإسبانية لمدة ثلاثة أشهر، بيد أنني فوجئت في تلك المدة بإعلانات علقت في الثانوية تفيد بمنع استعمال الإسبانية في الإدارات المغربية، فشعرت بالخوف على مستقبلي إن واصلت الدراسة بالإسبانية؛ خاصة وأن حالة أسرتي المادية لم تكن تشجع على التوجه صوب إسبانيا مثل زملائي الميسورين.

وشاءت الأقدار أن تمنح فرصة الدخول إلى مدرسة المعلمين لطلبة السنة السادسة للتعليم الأصيل الذين كثيرا ما أضربوا واحتجوا بغية إدماجهم في سلك التعليم. وفي ذلك الإبان علمت أن كثيرا من زملائي في القسم تم قبولهم ضمن هؤلاء، فاغتنمت الفرصة معهم وحظيت بالقبول. وقد أفدت كثيرا من هؤلاء الطلبة الذين كانوا أكبر مني سنا، وكان مستواهم جيدا في اللغة العربية وعلوم الدين.

وكـان أساتذتنا مرموقين كالأستاذ الجباري والأستاذ السوسي والأستاذ الشاعر عبدالواحد أخريف والأستاذ اليطفتي، وأفضلهم عندي كان الأستاذ محمد العربي الخطابي الذي أصبح فيما بعد وزيرا ثم مكلفا بالخزانة الملكية. كان رحمه الله أستاذا

أديبا وإنسانا خلوقا، وكنا حريصين على حضور المحاضرات التي كان يشارك فيها مع أساتذة آخرين، والتي كانت تنظم بين حين وآخر.

ما هي خلاصة التجربة المديدة في سلك التدريس؟

منذ أكتوبر 1959 التحقت مع مجموعة من رفاقي - أكثر من 40 معلما - بنيابة التعليم بأكادير، وعينت مع ثلاثة منهم بمركز مجموعة مدرسية تبعد عن المدينة بحوالي 50 كلم، وقضيت هناك سنتين قبل أن أنتقل إلى إنزكان. استفدت خلالهما الشيء الكثير، إذ كنا نزور المدينة في متم كل شهر، ويقتني كل واحد منا مجموعة من الكتب التربوية والأدبية والمجلات الثقافية. وبما أننا كنا في البادية بعيدين عن السكان، فقد كنا نقضي وقت فراغنا وعطلة الأسبوع في التهام تلك الكتب منفردين بغية التركيز، حتى إذا عدنا إلى البيت شرع كل واحد منا في عرض ما قرأه أو أثار انتباهه، ثم تدور المناقشة بيننا.

كما كنا نجلب لتلاميذنا كل ما يساعدهم على فهم دروسهم. وكنت - بحكم هوايتي في الرسم - أقتني أدوات الرسم وأخرج إلى الطبيعة فأرسم كل ما أحتاج إليه في دروسي كوسيلة للإيضاح، وكنت أزين حجرتي بالصور والرسوم التي أنجزها بنفسي.

انتقلت بعد ذلك إلى مدرسة مركزية بإنزكان، كانت تضم 40 معلما ومعلمة، ثلثهم من الفرنسيين، وكنت أحاول أن أكون أكثرهم التزاما وجدية ونشاطا، خصوصا بالنسبة لأولئك الأجانب، فكنت أول من أنشأ مكتبة بالقسم، حيث اقتنيت مجموعة من الكتيبات والقصص، وطلبت من التلاميذ المساهمة بكتاب أو قصة، فلم يترددوا في ذلك. وتوفر لدينا ما يغطي عدد التلاميذ في القسم، وبما أن حصص المطالعة في الأسبوع كانت خمسا، فقد تقدمت بطلب إلى مدير المؤسسة كي يسمح لي بتخصيص حصة المطالعة ليوم السبت للمطالعة الحرة بدلا من الكتاب المدرسي، فوافقني على ذلك. وكنت أوزع على كل تلميذ كتيبا أو قصة، ثم نشرع جميعا في المطالعة، فيعم السكون حجرة الدرس، وينهمك كل تلميذ في مطالعة كتابه. أما أنا فكنت أكتفي بشرح ما استعصى عليهم من كلمات. وهكذا كانت المبادرة ناجحة، وغدا التلاميذ ينتظرون بشوق حلول موعد تلك الحصة.

وإجمالا، فقد اكتسبت في ميدان التدريس تجربة كبيرة جعلتني أنجح في مهمتي، وأحظى باحترام التلاميذ وآبائهم وكل المسؤولين التربويين، وما زلت إلى الآن أتلقى منهم الشكر والثناء كلما صادفت أحدهم، لعلمهم بمدى إخلاصي وحبي لهم.

كيف كانت حصيلة تجربة الإدارة التربوية؟

بعد أن قضيت في التدريس مدة 25 سنة كلها عطاء ونكران للذات، حظيت بتعييني على رأس مجموعة مدرسية بإقليم تاونات دون سابق تدريب في مجال التسيير الإداري؛ لكن - بحكم تعودي على أخذ زمام المسؤولية بما يلزم من جد - ما أن توصلت بالتعيين، وكان ذلك قبيل انتهاء السنة الدراسية بشهر، حتى بادرت إلى الاتصال ببعض زملائي من مديري المؤسسات التعليمية لأتزود منهم بكل ما يهم مهام المدير الإدارية والتربوية. وقمت بإعداد العدة في صيف تلك السنة.

ولما التحقت بمؤسستي باشرت عملي دون أدنى تعثر؛ ومع ذلك كنت أتردد في الشهور الأولى على كثير من زملائي المديرين بالمنطقة قصد استشارتهم والاستفادة من رصيد تجربتهم.

ولم تكد تمر سنة حتى حظيت بتقدير المسؤولين في النيابة، وباحترام جميع المعلمين في المجموعة المدرسية، رغم بعدها وتشتت فروعها التي كنت أزورها كل أسبوع تقريبا، مما وطد روابط التواصل بيننا، وانعكس إيجابا على العملية التربوية في جميع فروع المؤسسة.

وقد أمضيت في تحمل مسؤولية الإدارة التربوية مدة خمس سنوات، عشت خلالها بمفردي، في حين كانت أسرتي تقيم بتطوان؛ الأمر الذي انعكس سلبا على أحوالها، فقررت طلب إعفائي من مهمتي شريطة إعادتي إلى نيابتي الأصلية (تطوان). وعلى الرغم من عدم الاستجابة لطلبي في البداية، أعدت الكرة وبإلحاح فانفرجت الغمة لما استجيب لطلبي، والتحقت بنيابة تطوان في متم أكتوبر 1988. ولما استقبلني نائب الوزارة أطلعته على طلبي، فقرر الاحتفاظ بي في النيابة.

تتوجت المسيرة المهنية بالعمل المباشر إلى جانب مسؤولين إقليميين على صعيد نيابة الوزارة بتطوان. ماذا أضافت هذه التجربة إلى رصيدكم التربوي؟

لقد كان قرار الاحتفاظ بي في النيابة حدثا سعيدا كدت أطير فرحا جراءه لكوني غدوت جوار بيتي الذي لم تعد تفصلني عنه سوى بضعة أمتار، بعدما كنت نائيا عنه بمئات الكلمترات. وكانت انطلاقتي من مكتب الامتحانات الذي لم أمكث به سوى شهور، إذ نودي علي للالتحاق بمكتب التنسيق الذي كان من مهامه، التنسيق بين المكاتب والمصالح. وكانت مهمتي تقتضي استقبال المذكرات الوزارية والمناشير والدوريات قصد تسجيلها وقراءتها ثم تذكير المكاتب أو المصالح بأجل تنفيذ محتواها، إضافة إلى تتبع ذلك، وقد تزودت بفضلها بكثير من المعلومات الإدارية والتربوية.

وفي سنة 1990 عينت بالكتابة الخاصة للنائب الإقليمي. وقد كنت حذرا جدا لأن المكان كان يتطلب يقظة وفطنة ولباقة وحسن تدبير. في بداية الأمر استأنست بزميلي في المكتب آنذاك المرحوم السيد عبد السلام بورباب الذي كانت له حنكة وتجربة واطلاع واسع على مجريات الأمور في النيابة، وعرفني بكثير من الأطر التربوية والشخصيات والوجهاء. ولم تكد تمر سنة حتى كنت ملما بكل مهام المكتب، وما أكثرها.

وبعد خمس سنوات تم الاستغناء عن الكتابة الإقليمية، فأضيفت إلي أعباء أخرى كاستقبال جميع الوافدين على الكتابة الراغبين في مقابلة النائب، من مسؤولين تربويين ورؤساء المؤسسات والمصالح وممثلي النقابات، أو موظفين وأساتذة... وكان علي الاستماع إليهم قبل توجيههم نحو الوجهة ذات الاختصاص.

علاوة على ما سبق، كان علي بعد أن أصبحت رئيسا للكتابة الخاصة أن أحرر الرسائل والرد على المراسلات والشكايات الواردة على الكتابة، ثم توزيع العمل على الراقنات التابعة لها، وتصحيح كل ما يتم رقنه...

وللحقيقة فقد استفدت كثيرا من عملي بالكتابة الخاصة، وكسبت تجربة تربوية وإدارية بفضل التواصل المستمر مع كثير من الفعاليات في مجال التربية والتعليم والإدارة.

بم تحسون اليوم بعد هذه الرحلة المهنية المديدة؟

إحساسي بعد هذه المسيرة الطويلة (41 سنة و3 أشهر) من الكد والجد والعطاء، وتلقين أجيال، وكسب ود وصداقة آلاف المعلمين والأساتذة والمفتشين والموظفين، هو أنني أعتبر نفسي من أسعد الناس، خصوصا بعد أن وفقني الله ومنحني الصحة والعافية بعد كل هذه السنين، ووفقني لكسب محبة واحترام كل الذين التقيت بهم على كلمة سواء.

ما نصيحتكم لمدرسي اليوم؟

نصيحتي لمدرسي اليوم أن يؤمنوا بسمو مهنة التدريس وشرفها، وبأجرها العظيم على كل معلومة يلقنونها للأطفال، وأدعوهم إلى التحلي بالصبر والأخلاق النبيلة، والإخلاص في العمل، حتى يكونوا قدوة حسنة لتلامذتهم. وليجعلوا نصب أعينهم أن ما يبذلونه نحوهم من خير وجهد، سيظل عالقا في أذهانهم وسيذكرونه مدى حياتهم.

ما المواصفات التي تراها ضرورية لمن أراد تحمل مسؤولية الإدارة التربوية؟

من أراد أن يتحمل مسؤولية الإدارة التربوية عليه أن يعد نفسه إعدادا قبليا، وأن يتزود بما يكفي من المعلومات المتعلقة بتسيير الإدارة، وأن يعمل بالجد والنزاهة، ويتحلى بالصبر والتسامح، وأن يهتم بالمذكرات التوجيهية والتنظيمية الواردة من الوزارة، ويعيد قراءتها مرات، ويتقيد بمضمونها، وأن يوطد العلاقات مع أفراد الطاقم التربوي والإداري ويشاورهم في الأمر، إن هو أراد النجاح في مهمته.

كلمة ختامية.

إن مهنة التدريس وتسيير الإدارة التربوية مهنة شاقة ومتعبة؛ لكنها شريفة ونظيفة. وهي تحتاج إلى الكفاءة، والرغبة في المزيد من المعرفة والتكوين من أجل تأدية الرسالة على وجهها. فمن مارسها بنجاح وإخلاص نال رضا الله ورضا نفسه، وعاش سعيدا.

وأساس النجاح، في نظري، هو التواضع والصدق والعدل والاهتمام بالغير واحترامه.

لقاءان مع جمعيات المجتمع المدنيفي موضوع :
الدعم والإكراهات والآفاق

عقد عبدالرحيم بوعزة رئيس المجلس الإقليمي لشفشاون بمقر هذا الأخير لقاءين تواصليين مع جمعيات المجتمع المدني، الأول: يوم الثلاثاء 4 ماي 2021 ابتداء من الساعة الثانية بعد الزوال حضره ممثلوالجمعيات الثقافية، والثاني: يوم الأربعاء 5 ماي 2021 ابتداء من الساعة الثانية بعد الزوال حضره ممثلوالجمعيات الرياضية.

وحسب البلاغ الذي أصدرته مديرية شؤون الرئاسة والمجلس التابعة لإقليم شفشاون، فإن هذين اللقاءين يندرجان في إطار سياسة القرب وتفعيلا لاستراتجية العمل التشاركي وتجسيدا لثقافة الحوار البناء، كما يأتيان في سياق خاص يتمثل في قيام جهات معادية للتجربة التشاركية الناجحة والرائدة التي أرساها المجلس الإقليمي لشفشاون وما رسمته من أهداف تنموية نبيلة وما حققته، ثقافيا وفنيا ورياضيا واجتماعيا إلخ من إنجازات ونتائج ملموسة على أرض الواقع بشراكة وتعاون مع جمعيات المجتمع المدني بمختلف حساسياته وتعدد مجالات عمله، بترويج أخبار زائفة ومغالطات حول مسألة الدعم المقدم لهذه الجمعيات عبر وسائل التواصل الاجتماعي بخلفية استغلال سياسوي للموضوع.

وأشار البلاغ إلى الظرف الاستثنائي العصيب الذي تعيشه بلادنا بسبب جائحة كورونا، والذي كان له تأثير بشكل خاص على حركية المجلس وبرامجه وأنشطته وأولوياته، كما كانت له انعكاسات بشكل عام على مختلف القطاعات على الصعيدين المحلي والوطني، مما تطلب من المجلس، بكل افتخار واعتزاز، العمل يدا في يد مع السلطات العمومية ومختلف القطاعات والمؤسسات؛ بتجنيد إمكانياته والمساهمة بوسائله المادية والبشرية، وتخصيص اعتمادات مالية مهمة لمجابهة هذه الجائحة وحماية بلادنا الغالية من تداعياتها السلبية.

ومن جانب آخر، ذكر البلاغ بجوالنقاش المفتوح والحوار البناء الذي ساد في هذين اللقاءين، حيث عبر المتدخلون عن الانشغالات والانتظارات من جهة وتناولوا المشاكل والمعيقات التي يعاني منها النسيج الجمعوي والتحديات من جهة أخرى. وعلى إثر ذلك، يشير البلاغ، تم اقتراح إحداث لجنة لتتبع الملفات العالقة وعلى رأسها الملفان الأساسيان المتعلقان بضرورة إحداث مديريتين إقليمتين للثقافة والسياحة؛ إذ لا يعقل، كما أكد ذلك رئيس المجلس الإقليمي عبدالرحيم بوعزة، أن لا يتوفر الإقليم على هاتين التمثيليتين لقطاعين حيويين؛ وهومجال ترابي يزخر بموارد ثقافية مادية وغير مادية غنية وبقامات ثقافية وفنية وبكفاءات في مختلف المجالات ذات الصلة، كما يعد وجهة مشهود لها جهويا ووطنيا وكذا عالميا على مستوى السياحة الداخلية والخارجية. وأكد البلاغ في هذا الصدد على الاستعداد الذي عبر عنه عبدالرحيم بوعزة للترافع لدى الجهات المختصة حتى تحقيق هذا المسعى.

هذا وقد أخبر البلاغ بأنه قد أثيرت، بالمناسبة، مسألة الدعم الاستثنائي التي استفادت منه الجمعيات الرياضية التي تحتضن فرق كرة القدم، والتي جاءت كاجتهاد ذاتي من المجلس الإقليمي لمساعدة هذه الفرق على استكمال مبارياتها والوفاء بالتزاماتها، وهي المبادرة التي وجب التنويه بها وتثمينها والسير على منوالها ومواصلتها باجتهادات أخرى مطلوبة في الظرف الراهن، يوضح البلاغ، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بدل الترصد لها ولكل عمل ناجح يخدم مصلحة السكان، وخاصة ذلك الذي غايته تأطير الشباب وتأهيله وتقوية قدراته والوقاية من سقوطه في الانحراف بشتى مظاهره.

ونوه البلاغ بتعهد عبدالرحيم بوعزة رئيس المجلس الإقليمي لشفشاون بعرض ملتمس الدعم الذي تقدمت به بعض الجمعيات على المجلس من أجل الدراسة والقيام، في حدود الممكن، بما يلزم في إطار احترام التوجيهات الحكومية ذات الصلة، مشيرا في هذا الصدد إلى دورية وزير الداخلية المتعلقة بالتدبير الأمثل لنفقات الجماعات الترابية...

وأكد البلاغ في خاتمته على ضرورة العمل والاجتهاد الجماعي بهدف المحافظة على مكانة إقليم شفشاون حاضرا ومستقبلا، وكذا صيانة إرثه الإنساني الغني وقيمته الرمزية الضاربة في عمق التاريخ، وبالتالي، وارتباطا بذلك، التشجيع على إعمال الذكاء الجماعي واستثماره عبر إشاعة قيم الحوار الهادف والنقد البناء بدل الانسياق مع صناعة التفاهة وإنتاج والإسفاف.

الموسيقى الأندلسية
امتداد للحضارة الأندلسية بالمغرب

2/2

محمد القاضي

الموسيقى الأندلسية بالمغرب:

يرى المرحوم الأستاذ محمد المنوني، أن الموسيقى الأندلسية المغربية تمتد في مرحلتها الأولى إلى العصر المرابطي، حيث بدأت تتدفق على المغرب، بعد توحيده مع الأندلس، فازدهرت في بعض مدن المغرب، بسبب انتقال إمام التلاحين الأندلسي – وهو ابن باجة – إلى المغرب، واستقراره به عشرين سنة كوزير لمخدومه يحيى بن يوسف بن تاشفين، وقد توفي بمدينة فاس سنة 533هـ. ومن المعروف أن ابن باجة هو منظم الألحان المعتمدة بالأندلس وفي هذا يقول ابن سعيد: «وإليه تنسب الألحان المطربة بالأندلس التي عليها الاعتماد».

وابـن بـاجـة، شخصية فـذة وعبقرية موسيقية متفتحة. ألف أكثر من عشرين كتابا تناول فيها مختلف معارف عصره من طب وفلسفة وعلوم طبيعية ورياضية، وواحد من الوشاحين المشهورين، جمع بين الموسيقى والغناء في موشحاته. وصفه ابن خلدون بأنه «صاحب التلاحين المعروفة» وابن سعيد بأنه «فيلسوف المغرب وإمامها في الألحان» ومن الحكايات المشهورة عنه أنه حضر يوما مجلس أمير سرقسطة أيام المرابطين، أبي بكر ابراهيم بن تيفلويت فأعطى مغنية كانت هناك موشحة من نظمه فغنتها وكان مطلعها:

جرر الذيل أيما جـــــر
وصل الشكر منك بالشكر

فلما طرق سمع الأمير قول الشاعر:

عقد اللّه راية النصر
لأمير العلا أبي بكـــــر

طرب وصاح: واطرباه، وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت. وحلف بإيمان مغلظة أن لا يمشي ابن باجة إلى داره إلا على الـذهـب. فخاف الأمير سـوء العاقبة فاحتال بأن جعل في نعله ذهبا ومشى عليه.

لقد كـان ابـن باجة بحق أول من أدخـل التلاحين الأندلسية إلى المغرب، وقد مكنه طول استقراره به من نشرها وتعليمها في ظل الدولة الحاكمة ورؤسائها. ويرى الدكتور محمد بن شريفة: «أن أكبر اسم نجده في تاريخ الموسيقى الأندلسية المغربية بعد زرياب هو الفيلسوف ابن باجة».

وإذا كان فن الموسيقى الأندلسية قد تعرض لشيء من المقاومة أيام الموحدين، تأثرا بما قامت عليه الدولة من التدين ومقاومة المنكر، فإنه لم يشهد رواجا للموسيقى على رأي الفيلسوف ابن طفيل الذي قال قولته الشهيرة: «لو نفق عليهم علم الموسيقى لأنفقته عليهم».

ويرى الدكتور عباس الجراري: «وعلى الرغم من أن الموحدين كانوا أكثر رعاية للفنون والآداب ومجالس الشعر، فإننا نجد الشقندي وهو يتحدث عن آلات الطرب الأندلسية في رسالته التفاخرية يتعرض للمغرب بقوله: (وليس في بر العدوة من هذا شيء إلا ما جلب إليه من الأندلس، وحسبهم الدف وأكوال (أقوال) واليرا وأبو قرون ودبدبة السودان وحماقي في البربر).

إلا أنها قاومت وصمدت في وجه التيار المحافظ، لتفرض وجودها بعد ذلك أيام المرينيين (869-674هـ/-1275 1464م) الذي عرف ازدهارا عظيما للموسيقى في حواضر

المغرب الشهيرة كفاس ومراكش وسلا والرباط وتطوان وشفشاون وغيرها.

ويذكر المرحوم عبد اللّه الجراري: «أنهم كانوا يتوسلون بها في علاج المرضى، على حد ما كان يتم في مستشفى سيدي فرج بفاس حيث حبست عليه أحباس خاصة كانت تصرف لجوق الطرب الأندلسي الذي كان يحضر مرة كل أسبوع ليطرب نزلاء المستشفى من مرضى الأعصاب».

ومن بعدهم السعديين حيث ظهرت نهضة جديدة وبرز عدد من الفنانين ومن جملتهم (علال البطلة الفاسي) المتوفى سنة 961هـ الذي استطاع أن يلحن على مقام الذيل نوبة كاملة أطلق عليها اسم استهلال الذيل. وازدادت انتعاشا أكثر بعد الهجرة النهائية للأندلسيين سنة 1609م، حيث أصدر الملك الإسباني فيليبي الثالث قـرارا بطردهم من اسبانيا، بعد أن يئست المحاولات المتعددة والمتعاقبة من تحويلهم عن دينهم، واعتناق المسيحية، ولكن دون جـدوى، فاضطروا إلى مغادرة أراضيهم نحو شمال افريقيا وغيرها. فاستقر هؤلاء في أنحاء مختلفة من البرتغال والمغرب وتونس والجزائر ومصر، بل وصل بعضهم إلى القارة الأمريكية، حاملين معهم عاداتهم وتقاليدهم، واستفاد الأهالي من خبرتهم ومهارتهم في سائر مرافق الحياة اليومية فهاجر الفن بأجمعه إلى المغرب، واشتغل الناس به اشتغالا كبيرا، فاحتضن التراث الموسيقي وصيانته والحفاظ على النوبة تأليفا وصناعة كما يقول الدكتور الباحث عباس الجراري.

«فإن من حسن حظ هذا التراث أنه انتقل إلى المغرب العربي الذي حافظ على جوانب كثيرة منه مثلما حافظ على إرث ضخم من حضارة الأندلس وثقافتها، وكـان مهيئا لهذه الرسالة، على الرغم من مواقف بعض المؤرخين والدارسين الذين ينسون أن الكيان الإسلامي في الأندلس قام منذ الفتح على كاهل المغاربة، وأن هؤلاء المغاربة ظلوا طوال العهود الأندلسية يشكلون هذا الكيان ويمدونه ويحمونه ويتبادلون وإياه التأثر والتأثير، وأنهم هم الذين احتضنوا ما تبقى من الأندلس الإسلامية سواء على الصعيد البشري أو في مجال الحضارة والثقافة».

وكان من الطبيعي أن تتمغرب الموسيقى الأندلسية مع مرور الزمن بما أدخل عليها المغاربة بعد هذه المرحلة من تعديلات مختلفة في ألحانها وأشعارها وترتيبها. ويرى الباحث المغربي عبدالعزيز بن عبد الجليل أن المغاربة «شاركوا منذ البداية في تكوين هذا التراث، واستقلوا به بعد هجرة المسلمين من غرناطة. فازدهرت المدرسة التطوانية التي استقر بها العديد من الغرناطيين، بالإضافة إلى مدرسة فاس التي انتقلت إليها المدرسة الغرناطية والبلنسية القديمة وامتزج الكل ليفرز هذا التصور للوضع الجديد من خلال الصورة الجديدة للموسيقى الأندلسية التي نعرفها الآن».

ففي المؤتمر الموسيقي الذي انعقد في القاهرة سنة 1932م قرر المؤتمرون أن الموسيقى في المغرب وحدها ظلت أصيلة، فتعهدتها منظمة اليونسكو بالرعاية كصرح حضاري هام وجب العناية به والحفاظ عليه.

كتابات في تاريخ منطقة الشمال :

(993)

«دليل المدن والمواقع الأثرية القديمة بشبه الجزيرة الطنجية»

أسامة الزكاري
zougariousama@gmail.com

لازالت خبايا تاريخ منطقة شمال المغرب خلال العهود القديمة السحيقة لمراحل ما قبل الميلاد، تثير شهية الباحثين المتخصصين في التاريخ القديم. ولازالت أسرار هذه العهود مصدر الكثير من عناصر الإثارة العلمية الهادفة إلى إعادة تجميع الوقائع، وإلى مسح المواقع الأثرية، وإلى إنجاز التصنيفات الضرورية لمختلف أنواع اللقى التي تحفل بها هذه المواقع. ويمكن القول، إن منطقة شمال المغرب تشكل مجالا خصبا للاشتغال وللبحث وللتنقيب، بالنظر لأهمية مراكزها الحضرية الكبرى ولأدوارها المتميزة في رسم معالم تاريخ العالم القديم بالبحيرة المتوسطية، مثل ما هو الحال مع مواقع تمودا وطنجيس وزليل وليكسوس وأبيدوم نوفوم. لذلك، فقد أضحى البحث الجامعي الوطني المعاصر ينحو إلى تجديد منطلقات عمله في مجال إعادة طرح الأسئلة المهيكلة للبحث في تاريخ المغرب خلال العهود القديمة، استنادا إلى عدة إجرائية مؤسسة، يقوم مرتكزها على تجميع النصوص القديمة وخاصة منها الإغريقية واللاتينية، وتلقيح ذلك بالبحث الأركيولوجي الميداني، ثم استثمار نتائج آخر الاجتهادات العلمية المنجزة داخل المغرب وخارجه، سواء على مستوى الأدوات التنقيبية في البحث وفي التدقيق، أم على مستوى تطوير الحس النقدي التفكيكي في التعامل مع النصوص القديمة، أم على مستوى توسيع دوائر الأسئلة الموجهة للعمل الميداني، وهي الأسئلة التي تجعل من تاريخ المغرب القديم سؤالا متجددا بامتياز، له راهنيته الأكيدة، وله مصداقيته العلمية، وله آفاقه الرحبة في توسيع دوائر المعرفة التاريخية العلمية والمتجددة. لم تكتف الأعمال الوطنية الراهنة باجترار أسئلة الإسطوغرافيات الكولونيالية، ولم تحصر نفسها ضمن «قيود» الرد على تهافت هذه الإسطوغرافيات وعلى منطلقاتها الوظيفية، ولكنها انتقلت -في المقابل- إلى التأسيس لمعالم توجه علمي بديل يعيد مقاربة قضايا التاريخ القديم وفق رؤى لا ولاء لها إلا للبحث التاريخي والأركيولوجي العلمي ولمنطلقاته الأكاديمية الرصينة في البحث وفي التنقيب وفي التجميع وفي الاستثمار.

في إطار هذا التوجه العام، يندرج صدور كتاب «دليل المدن والمواقع الأثرية القديمة بشبه الجزيرة الطنجية»، لمؤلفه الدكتور عبد المحسن شداد، سنة 2018، .وذلك في ما مجموعه 178 من الصفحات ذات الحجم العريض. والكتاب الصادر ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، تعزيز لمسار عام في البحث وفي التنقيب داخل خبايا تاريخ الشمال خلال العصر القديم، باعتبارها مراكزا للإشعاع الحضاري الذي أرخى بظلاله الوارفة على مجموع أصقاع العالم القديم. فالعمل يقدم مقاربات تجديدية اشتغلت على تشريح رصيد المنجز العلمي والأركيولوجي داخل المغرب وخارجه، بشكل سمح بتقديم رؤى تجديدية ميزت المسار الأكاديمي لعبد المحسن شداد، من موقعه كباحث مهووس بـ «القديم»، وبراهنية هذا «القديم». ولعل هذا ما اختزلته الكلمة التقديمية، عندما قالت: «نصبو أساسا من خلال هذا الكتاب تسهيل عملية البحث أمام الدارسين والمتخصصين، وذلك عبر القيام بعملية جرد شاملة للمعطيات المتوفرة إلى حدود وقتنا الراهن حول عشرات المواقع الأثرية القديمة المنتشرة بشبه الجزيرة الطنجية اعتمادا على قراءتنا لمجموعة كبيرة من المؤلفات والمقالات المكتوبة أساسا باللغتين الفرنسية والإسبانية. بطبيعة الحال، لن نقتصر فقط على تلك التي لاتزال آثارها بادية للعيان، سنشير أيضا إلى التي تعرضت للتدمير والتلف، كما أننا لن نكتفي بذكر المواقع الأثرية المهمة، بل سنحاول قدر المستطاع أن يحيط الكتاب بأكبر عدد منها. سنعمل على ترتيب كل المعلومات وفق منهج محكم نأمل من خلاله تقديم صورة واضحة لكل موقع أثري عبر تقديم وصف جغرافي، وجرد لنصوص الكتاب القدامى، ثم تاريخ الحفريات التي أجريت به وملخص للتعريف بأهم معالمه. سنقوم بوضع لائحة شاملة للمراجع المتعلقة بكل موقع أثري مع مجموعة من الصور والتصاميم والخرائط...» (ص ص. 10-9).

وعلى هذا الأساس، استطاع الكتاب تقديم دليل تصنيفي للمواقع الأثرية لشبه الجزيرة الطنجية، مركزا على تقديم «بطائق علمية» تشكل عملا غير مسبوق في مجاله، خاصة وأن المؤلف قد نحا –باستمرار- نحو استثمار عطاء النصوص القديمة اللاتينية والإغريقية والعربية الإسلامية، إلى جانب الأعمال القطاعية الحديثة المعززة بنتائج البعثات العلمية الأركيولوجية السابقة، وكذا بنتائج تنقيبات المؤلف الميدانية المباشرة. وبهذه الصفات، أمكن تقديم متن شيق لا شك وأنه يشكل إضافة نوعية أصبحت مركز توجيه للأعمال المستقبلية التي يمكن أن تنجز فوق الميدان، أو التي تستهدف سبر أغوار الماضي السحيق لمراكز المواقع الأثرية المتناثرة حاليا على ضفاف القسم الغربي من منطقة الشمال المسمى بشبه الجزيرة الطنجية.

وللاقتراب من سقف التدوين الذي اعتمده الأستاذ شداد في هذا العمل، يمكن الاسترشاد ببعض مما كتبه بخصوص موقع زليل الموجود –حاليا- بمحيط مدينة أصيلا، وكذا بمجموع المواقع الأثرية الأخرى الموجودة في محيط زليل. ففي ذلك اختزال لمجمل الخصائص العامة التي أضافها الكتاب لمعارفنا الجغرافية ذات الصلة بالتاريخ القديم للشمال، وكذا دليل على القوة الإجرائية والعلمية التي اكتنفت عمليات البحث والتنقيب والتصنيف. يقول المؤلف: «زليل (الدشر الجديد)، يوجد موقع زليل الأثري... على بعد حوالي 38 كلم جنوب شرق مدينة طنجة وحوالي 15 كلم شمال شرق مدينة أصيلا، بمحيط القرية المسماة «دشر الجديد» القريبة من السوق الأسبوعي «حد الغربية»... اعتقد الرحالة والباحثون الأوربيون منذ مطلع القرن التاسع عشر وإلى حدود الثمانينيات من القرن الماضي أن هذه الآثار تطابق المحطة الطرقية التي ذكرها نهج الأنطونيني باسم «أد مركوري»، لاعتقادهم أن زليل الأثرية توافق مدينة أصيلا الحالية معتمدين في ذلك على تقارب اللفظين. وقد شكك في صحة هذه الفرضية لأول مرة الباحث الإنجليزي سبول سنة 1958، ثم الفرنسي موريس أوزينا خلال الستينيات من القرن الماضي قبل أن يتم العثور على نقيشة تحمل الاسم للكامل لمستوطنة Colonia Lulia Constantia Zi-lil. ويعتبر القنصل الإنجليزي دريموند هاي أول من قام بوصف أطلال هذه المدينة وذلك سنة 1842 قبل أن يحذو حذوه الديبلوماسي الفرنسي هنري دي لامارتينيير نهاية القرن التاسع عشر قبل أن ينجز بها الإسبانيان سيزار لويس ومونطالبان بعض الأشغال سنة 1936 ثم ميكل طراديل سنة 1950. وبعد حوالي سبعة وعشرين سنة، شهد الموقع الأثري تنظيم ورشات عمل أنجزها فريق بحث مغربي فرنسي امتدت إلى سنة 1993 وأسفرت عن نتائج مهمة. فيما يخص الاستقرار البشري بزليل، فاعتمادا على بعض الأدوات الحجرية التي عثر عليها على سطح الأرض، يمكن تأكيد حضور بشري منذ عصور ما قبل التاريخ. هذا في حين تعود أقدم مخلفات العصور التاريخية، المتمثلة في قطع من الخزف الأتيكي وأخرى من الجرات القرطاجية الأصل إلى القرن الخامس قبل الميلاد. أما أقدم البنيات السكنية التي تم الكشف عنها بالقطاع الجنوبي الأسفل فيؤرخ لها فقط بالقرن الثاني قبل الميلاد. ويعتقد أن هذه المدينة الأولى التي سكت خلال الفترة المورية نقودا تحمل اسمها بالحروف البونية ونقشت عليها رسوم سنابل القمح وعناقيد العنب... وقد تعرضت هذه المدينة إلى التدمير ما بين منتصف القرن الثالث ومنتصف القرن الرابع قبل أن يعاد بناؤها من جديد بقرار رسمي ما بين سنتي 355 و360. غير أن عمليات حرق وتخريب لحقت بها بداية القرن الخامس (430-410)، وذلك ربما أثناء عبور جماعات الوندال مضيق جبل طارق وتوجههم نحو قرطاج. لابد من الإشارة إلى أنه مؤخرا، شهدت زليل انطلاقة مشروع ممول عبر اتفاقية مغربية إيطالية، يرمي إلى إعادة الاعتبار لهذه المدينة الأثرية ويتضمن محاور متعددة. وبالفعل فقد أنجزت أولى الأبحاث العلمية (مسح جيوفزيائي وصور جوية) من قبل باحثين من جامعة سيينا الإيطالية ونظرائهم من المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث خلال الفترة ما بين 8 و30 شتنبر 2017...» (ص ص. 95-96).

وعلى هذا المنوال، اهتم المؤلف بتقديم تفاصيل دقيقة حول المواقع الأثرية الواقعة في محيط مركز زليل، وعلى رأسها موقع تاهدارت، وموقع القواس، وموقع عين مصباح، وموقع رأس القوار، وموقع كدية فرتاش، وموقع ركيبة القلال، وموقع سيدي بولنوار.

وفي كل هذه المواقع، استطاع المؤلف إعادة ترتيب الخريطة القديمة لمحيط مدينة أصيلا، كاشفا النقاب عن خبايا التعمير الأول للمنطقة، وعن مسارات الاستقرار السكاني وبداية معالم التراكم الحضاري الذي عرفته المنطقة على امتداد الفترات الطويلة القديمة السابقة عن الفتح الإسلامي للمنطقة.